HARLEQUIN

روايات احلام

لماذا تهربين؟

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

لماذا تهربين؟

أدرك برايس ماكليستر بعد أن شاهد سابينا، أنها المرأة الوحيدة في العالم التي يتعيّن عليه أن يرسمها...

... ليس بسبب جمالها ولو أنه رائع! بل بسبب ذلك الإحساس الذي أسدلت الستار عليه بسرعة وأخفته... تلك اللحظة المؤقتة من الخوف والضعف، التي جعلت سابينا أكثر من مجرد امرأة جميلة. ولكن تبيّن أن هذه المهمة مستحيلة، لأن عارضة الأزياء سابينا حاولت كل شيء لتجنّب أن تكون وحدها معه...

عرف برايس أن سابينا خائفة منه، ولكن ما لم يستطع أن يفهمه هو لماذا؟

www.elmoamal.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١.٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-144-x

١ ـ باحث عن الروح

ـ ماكليستر؟

أجفل برايس للتطفل على خلوته، هذا إذا استطاع أحد أن يختلي وسط حفل انتصار سياسي!

لم يكن عادة يرتاد مثل هذه الحفلات. لكن صغرى بنات أحدث عضو في البرلمان، تزوجت من ابن عمه فيرغوس منذ ستة أشهر. وقد دعيت العائلة إلى منزل باول هاميلتون اليوم، للمشاركة في الاحتفال بإعادة انتخابه. كان برايس ليبدو فظاً لو تخلف عن حضور هذا الحفل.

لم يهتم كثيراً لأنه كان يناديه بكنيته، فقد ذكّره ذلك رغماً عنه بأيام الدراسة. كانت نبرة صوت الرجل تغيظ برايس إلا أن تعجرفه أزعجه أكثر. استدار ببطء وها هو يتقابل وجهاً لوجه مع رجل يعرف تماماً أنه لم يلتقِه قط. كان الرجل طويلاً، أشقر الشعر فضياً عند الصدغين، رجّح أنه في أواسط الخمسينات، كان وسيماً وملامحه قاسية.

صحح للرجل الآخر ببرود: «برايس ماكليستر.. أجل».

مدّ الرجل الآخر يده محيياً: «ريتشارد لاتم».

ريتشارد لاتم.. بطريقة ما عرف برايس أنه قد سمع من قبل بهذا الاسم حتى ولو لم يكن يعرف الرجل.

صافح يد الرجل الآخر باختصار، متعمداً ألا يتابع الحديث. فهو لم يكن رجلاً اجتماعياً من الدرجة الأولى.

ـ ليس لديك فكرة مطلقاً عمن أكون، أليس كذلك؟

بدا الرجل الآخر متسلياً للفكرة عوض أن يتوتر.

قد لا يعرف برايس من يكون الرجل. لكنه يعرف ما هو عليه.. إنه من الطراز الملح!

لاتم، قال إن ذلك هو اسمه، الشهرة نفسها التي يحملها صهر باول هاميلتون الآخر، بينما صهره الأول هو ابن عمه فيرغوس، وهذا يعني أن الرجل قريب لعائلة هاميلتون على الأرجح.

كتم تنهيدة نفاد صبر. فالساعة تقارب السابعة الآن، وهو يتطلع قُدماً إلى أن يتمكن من الاعتذار، بادعائه أن لديه موعداً آخر هذا المساء.. لكنه الآن مضطر إلى أن يخلص نفسه من هذا الحديث الذي لا يريده من الأساس.

رد دون اعتذار: «أخشى أن لا».

فتبادله الحديث في مناسبة اجتماعية مع شخص غريب تماماً لم يكن شيئاً مستحباً لديه. لكنه يتقبل، لأنه فنان له بعض الشهرة، أن عليه إظهار وجه اجتماعي محدد.

رفع ريتشارد لاتم حاجبين أشقرين ليرد بشكل فظ:

ـ لقد اتصلت بك سكرتيرتي مرتين خلال الشهر الماضي، فيما يتعلق بصورة لخطيبتي أحب أن ترسمها وأشتريها منك.

هو ريتشارد لاتم ذاك إذن! صاحب الملايين ورجل الأعمال العالمي الشهير. إن نشاطاته في الأعمال تنشر في العالم كله، وعلاقاته مع أجمل نساء العالم تملأ عناوين الصحف بقدر ما تفعل أخبار مشاريعه الناجحة.. رغم أن برايس لم تكن لديه فكرة عن هوية «الخطيبة» التي ذكرها.

هز برايس رأسه وقال بأدب: «كما شرحت في رسالتي، رداً على أول سؤال لسكرتيرتك، أنا لا أرسم صوراً شخصية».

ولم يشعر بأدنى ميل لشرح كل هذا مرة أخرى.

ردّ ريتشارد لاتم من دون مقدمات: «هذا غير صحيح».

وضاقت عيناه الزرقاوان أمام تعبير برايس اللامبالي، وأكمل: «لقد رأيت اللوحة العظيمة التي رسمتها لدارسي ماكينزي».

ابتسم برايس قليلاً: «دارسي نسيبتي.. وهي زوجة ابن عمي لوغان».

قطب ريتشارد لاتم ورد بخشونة: «و.. ماذا في هذا؟».

هز برايس كتفيه: «كانت لمرة واحدة.. هدية زواج».

رفع الرجل الآخر رأسه بعجرفة: «وهذه هدية أيضاً.. لنفسي».

واعترف برايس أن الرجل لم يكن معتاداً على سماع كلمة لا.. من أي كان!

حسن جداً، لن يساعد برايس في هذا.. فهو ببساطة لا يرسم لوحات شخصية، ولا ينوي رسم شيء يرضي غرور هذا الثري المدلل، ليعلقها على جدران منزله الأنيق ويدّعي أنها بريشة «ماكليستر».

بدأ يقول: «أنا حقاً آسف..».

لكنه صمت فجأة وتزامن صمته مع صمت الغرفة. وانصب اهتمام الرجلين على المرأة التي وقفت بالباب.

سابينا.

كان برايس قد شاهد صوراً لأشهر عارضات العالم في السنوات الأخيرة، وسيكون أعمى لو لم يشاهدها. فبالكاد يمر يوم دون ظهور صورة لها في عرض للأزياء أو في حفلة، أو مناسبة عامة. لكن أياً من تلك الصور لم تحضر برايس لهذا الجمال المكتمل الخالص، ولا للون بشرتها العاجي وفستانها القصير الفضي اللماع الذي ترتديه، ولساقيها الطويلتين برشاقة واضحة، ولا لعينيها الزرقاوين المضيئتين، وشعرها الأشقر بلون القمح الناضج الذي يكاد يلامس خصرها النحيل.

لم تكن تضع أي مجوهرات إطلاقاً، لكنها لا تحتاج إليها لأنها ستكون كمن يطلي زنبقة بالذهب.

عاد اهتمامه إلى عينيها. هما مضيئتان، نعم. ولهما إطار أسود يحيط

بالحدقة الزرقاء زرقة السماء.. لكنه أحس في عينيها بشعور آخر التقطه وهي تنظر حولها في الغرفة. ارتباك من نوع ما.. يكاد يكون خوفاً..؟

ثم هبط ستار فوق العينين الزرقاوين الساحرتين، واختفى ذلك الإحساس بنفس السرعة التي اكتشفته فيه عينا برايس المدربتان، وأصبحت ابتسامتها واثقة وهي تتطلع عبر الغرفة باتجاهه.

تمتم ريتشارد لاتم ساخراً: «أعذرني! عليّ أن أرحب بخطيبتي».

وترك برايس سائراً بعزم عبر الغرفة ليقبّل سابينا بحرارة على خدها، وتحركت ذراعه بتملك حول كتفيها النحيلتين وهي تبتسم له.

أدرك برايس وهو يراقبهما أنه كان مخطئاً بشأن المجوهرات.. ففي أصبع سابينا يلمع خاتم رُصّع بألماسة ضخمة على شكل قلب.

هل سابينا هي الخطيبة التي أشار إليها ريتشارد لاتم؟

هل هي الخطيبة التي يريد من برايس رسم لوحة لها؟

المرأة الوحيدة في العالم التي بعد أن شاهدها عرف ببساطة أنه يتعين عليه أن يرسمها!

ليس بسبب جمالها ولو أنه رائع! لا، بل بسبب ذلك الإحساس الذي أسدلت الستار عليه بسرعة وأخفته، والذي أثار فيه الفضول.. تلك اللحظة المؤقتة من الخوف والضعف، التي جعلت سابينا أكثر من مجرد امرأة جميلة. كان ما شاهده إحساساً أراد أن يكتشفه ولو على القماش.

ابتسمت سابينا لريتشارد بحرارة: «آسفة لأنني تأخرت قليلاً، أخشى أن أندرو كان متطلباً في مسألة القياس اليوم».

وكشرت وهي تلوح ببدها بخفة مشيرة إلى أحد أشهر مصممي الأزياء.

فقال ريتشارد يطمئنها بابتسامة وهو يعود إلى الغرفة: «أنت هنا الآن، وهذا هو المهم».

لم تعد سابينا متوترة. من المريح حقاً أن يكون في حياتها شخص لا يتذمر من متطلبات مهنتها. في الواقع كل ما كان يهمّ ريتشارد هو وجهها

المعروف عندما تقف بجواره. حمداً لله، عادت الأحاديث داخل الغرفة مجدداً، فرغم مرور سبعة أعوام على عملها كعارضة أزياء محترفة، لم تعتد بعد سابينا توقف الناس عن أشغالهم وتحديقهم فيها، فاضطرت إلى اختراع غطاء خارجي يخفي الرعب الذي ينتابها من رأي الناس بمظهرها الخارجي.

كان المكان الوحيد الذي تتمكن من الهرب إليه دون أن يتعرّف إليها أحد هو مطعم «الهمبرغر» المفضل لديها. إذ لا يصدق أحد أن العارضة سابينا ذات الجسم النحيل الممشوق ترتدي «الجينز» وقميصاً عادياً، وتخبيء شعرها بقبعة «بايسبول» لتجلس في ذاك المطعم وتتناول «همبرغر» وبطاطا مقلية. الحقيقة أنها من أولئك الأشخاص المحظوظين الذين يتناولون ما شاؤوا من الطعام دون أن يكسبوا وزناً.

وتعترف سابينا بقليل من الحزن، أنها لم تجرؤ على القيام بإحدى زياراتها لتأكل أحد أطباقها المفضلة منذ بعض الوقت. في الواقع منذ ستة أشهر.

قال لها ريتشارد بنعومة: «أريد أن أعرفك بشخص يا سابينا» ثم أردف وفي صوته نبرة رضا: «كما أريد أن أعرّفه بك».

نظرت سابينا إليه متسائلة. لكنها لم تستطع فهم شيء مما قاله وهو يقودها عبر الغرفة لتقابل الرجل الذي رأته يتكلم معه حين وصلت.

كان الرجل الآخر أطول من ريتشارد، الذي يبلغ طوله ستة أقدام، وهو، على الأرجح، في أواسط الثلاثينات، يرتدي ثياباً عادية... بنطلون أزرق اللون وقميص أبيض وسترة سوداء. أما شعره فطويل أسود ووجهه صارم الوسامة. لكن العينين الخضراوين في ذلك الوجه هما اللتان لفتتا انتباه سابينا، فعينان لهما مثل حدة الملاحظة هذه، يبدو أنهما تنظران إلى الروح.

أحست سابينا بالارتباك السابق يسري مجدداً في ظهرها. فهي لا تريد أن ينظر شخص غريب صارم مباشرة إلى روحها!

قدمهما ريتشارد بخفة: «برايس، أودك أن تقابل خطيبتي سابينا.. سابينا أعرفك ببرايس ماكليستر».

سابينا تعرف أن ريتشارد فخور بجمالها. . لكنه في تلك اللحظة، بدا فخوراً أكثر من العادة.

نظرت بفضول إلى الرجل الآخر، برايس ماكليستر. . أمن المفترض أن تعرفه؟ الفنان؟ برايس ماكليستر كما تعرف، واحد من أكثر الفنانين المشهورين في العالم اليوم. لكن هذا لا يفسر موقف ريتشارد منه. .

حيّته ببرود: «سيد ماكليستر».

هز رأسه قليلاً: «سابينا».

ثم أضاف ساخراً: «هل لك شهرة معينة؟».

ردت بجفاء: «سميث. لكن لا يعرف هذا كثير من الناس. اختيار أمي لاسمي الأول كان جهداً لإكمال النقص في الخيال في اسم العائلة».

وأدركت سابينا مقطبة أنها تنطق بكلام لا معنى له أمام رجل جعلها متوترة غريزياً. لكنها لم تستطع على ما يبدو منع نفسها عن الكلام فيما هاتان العينان تحدّقان إليها عن عمد. .

تدخل ريتشارد بعجرفة: «أنت سابينا. . وهذا يكفي».

هل أحس ريتشارد بشيء أيضاً. . تلك القوة العميقة المنبعثة من النظرة الخضراء الزمردية التي لا ترمش؟

أحست سابينا بتلك الرجفة مجدداً تسري في ظهرها، فتقدمت أكثر نحو ريتشارد. قال برايس ماكليستر متشدقاً بمرح، رداً على ملاحظتها: «أعدك أنني لن أخبر أحداً».

كانت واثقة من أن هذا الرجل قادر على الرؤية مباشرة عبر روحها! ما تراه قد يرى؟ أملت أن يرى الدفء واللطف. . والمرح والضحك إضافة إلى الوفاء والشرف. . الارتباك والخوف. .

لا! إنها حريصة على إبقاء هذه المشاعر مخبأة. ولو أن تحقيق هذا الأمر لم يكن سهلاً عليها عندما تكون بمفردها. ولهذا نادراً ما كانت تسمح لنفسها بأن تبقى وحدها مع أفكارها. .

قال برايس ببرود: «كنت أناقش وخطيبك إمكانية رسم لوحة لك».

قطبت سابينا بحيرة وهي تستدير نحو ريتشارد. لم يكن قد ذكر لها أي شيء عن رسم لوحة لها. وعرفت، من الوقت القصير الذي أمضته حتى الآن بصحبة برايس ماكليستر الكئيبة، أنه آخر رجل تريد قضاء بعض الوقت معه!

ضحك ريتشارد دونما اكتراث: «أخشى أن يكون برايس قد أفسد علي المفاجأة».

وضغط على كتفيها بحرارة قبل أن يستدير إلى الرجل الأصغر سناً. وقال ساخراً متحدياً: «لقد قررت أنك راغب في رسم لوحة لسابينا إذن؟».

نظرت سابينا إلى برايس ماكليستر، وفهمت من تعليق ريتشارد أن مسألة اللوحة لم يكن قد تم الاتفاق عليها كما ألمح الفنان.

وإلا. . فلماذا غير رأيه؟

لو أنه. .

هز برايس ماكليستر كتفيه دون اهتمام، ورد دون التزام: «إنها إمكانية. أحتاج إلى بضع رسمات أولية قبل اتخاذ أي قرار نهائي».

وعبس: «لكنني أريد أن أحذرك منذ الآن، أنا لا أرسم للناس صوراً شبيهة بتلك الموضوعة على علب الشوكولا».

هل يلمح إلى أن جمالها يشبه ما على علبة الشوكولا؟ إنه ليس بالضبط رجلاً فاتناً كمن التقتهم من قبل، اعترفت سابينا بهذا لنفسها بخشونة. لكنه صادق على الأقل.

قال ريتشارد بجفاء: «أنت ترسم كل شيء إذن، حتى العيوب الصغيرة. حسن جداً! كما تستطيع أن ترى، ليس لسابينا عيب واحد».

ونظر إليها بافتخار.

نظرت سابينا إلى برايس ماكليستر، لتعود وتنظر بسرعة بعيداً وهي ترى السخرية الواضحة في تعبيره أمام مديح ريتشارد المتملك الواضح. لكن شدة

اهتمام الفنان لم تسمح له على ما يبدو أن يرى تملك ريتشارد على ما هو عليه تماماً.. مجرد فخر بامتلاك غرض جميل.

قالت له بصوت أجش: «أعتقد أنك منحاز يا ريتشارد. وأنا واثقة من أننا أخذنا من وقت السيد ماكليستر ما يكفي لأمسية واحدة..».

وأرادت أن تبتعد عن حرارة تلك النظرة الخضراء المراقبة.

قررت أن برايس ماكليستر لا يعجبها.. هناك شيء ما في طريقة نظره إليها يجعلها تشعر بعدم الارتياح. وكلما أسرعت وريتشارد بالابتعاد عنه كلما تزايد ارتياحها.

قال برايس بصوت متشدق متسائلاً: «لو استطعت فقط أن أحصل على عنوانك ورقم هاتفك.. ربما أتصل بك، ونستطيع تحديد وقت ملائم لكلينا لتلك الرسومات الأولية؟»

ابتلعت سابينا ريقها بقسوة، وهي كارهة جداً أن يعرف برايس ماكليستر مزيداً من المعلومات عنها.

قال ريتشارد لبرايس ساخراً: «هذا أمر سهل.. إنه عنواني ورقم هاتفي».

وأخرج بطاقة خاصة من محفظته وأعطاها لبرايس، ثم أضاف بخفة: «إذا لم نكن في المنزل حين تتصل، تستطيع مدبرة منزلي أخذ الرسالة».

استطاعت سابينا أن تشعر بازدياد حدة النظرة الخضراء القاتمة مع استيعاب برايس ماكليستر معلومة سكنها في منزل ريتشارد. ورقّ فمه كراهية وأصبحت عيناه الخضراوان باردتين ونظرته تطوف بها مقيّمة.

واجهته سابينا متحدية السخرية الواضحة في تعبير برايس ماكليستر وهو ينظر إليها، رغم أنها عجزت عن منع خديها من الاحمرار.

فلتحل اللعنة عليه.. من يظن نفسه ليقف هناك ويحكم على تصرفها؟ إنها في الخامسة والعشرين من عمرها بحق السماء، كبيرة بما يكفي لتقوم بخيارها الخاص وتتخذ قراراتها، دون أن تضطر لأن تسأل أحداً إلا نفسها.

وهي سعيدة تماماً بترتيبات عيشها!

لكن برايس ماكليستر لا يعوف شيئاً عن التفاهم الذي توصلت إليه مع ريتشارد حين خطبا منذ عدة أشهر.. ولا فكرة لديه عن أن الخطوبة مجرد واجهة.. وأنها درع يحميها من الخوف الذي عاشت فيه في الأشهر الستة الأخيرة.. وأن ريتشارد أرادها في حياته.. ويا للغرابة، فقد أدركت في الأشهر المنصرمة، أن كل ما يريده منها هو أن تكون غرضاً جميلاً يقف بجواره.

ليس هناك أدنى شك في أن خطوبتهما تبدو غريبة كثيراً، لكنها تناسبهما.. وبالتأكيد ليست من شأن هذا الرجل!

قال برايس ساخراً: «سأتصل بك».

ودس بطاقة ريتشارد في جيب سترته قبل أن يحني رأسه مودعاً، ويتركهما ويتجه نحو الغرفة لينضم إلى زوجين جالسين في الزاوية يناغيان طفلاً صغيراً جداً.

تمتم ريتشارد وهو إلى جانب سابينا: «هذا ابن خالة برايس، لوغان ماكنزي، وزوجته الجميلة دارسي».

لم تكن سابينا تهتم لمعرفة هوية الزوجين، أو ما هي قرابتهما بالمتعجرف برايس ماكليستر.. كانت مسرورة فقط لأنه ابتعد، وتستطيع الآن أن تتنفس بارتياح مجدداً!

في الحقيقة، لم تكن تدرك حتى أنها تكتم أنفاسها إلى أن تركهما، مما اضطرها إلى تنشق كمية ضخمة من الهواء.. كيلا تختنق!

عرفت شيئاً واحداً.. لا تنوي أن تكون في المنزل لو اختار برايس ماكليستر الاتصال بها.

و.. في هذه الأثناء.. تنوي فعل كل ما في وسعها لإقناع ريتشارد بتغيير رأيه حول رغبته في أن يرسم لها برايس ماكليستر لوحة..

***

قالت مدبرة منزل ريتشارد لاتم للمرة السادسة على التوالي: «أخشى ألا تكون الآنسة سابينا في المنزل».

في الواقع، كان برايس ماكليستر يعرف كم مرة اتصل هاتفياً وقيل له إنّ «الآنسة سابينا ليست في المنزل». إنها المرة الخامسة... فغضب غضباً شديداً، لأنه واثق من أن الجميلة سابينا تتهرب منه.

كان قد عرف من التعبير الذي ارتسم على وجهها في منزل پاول هاملتون الأسبوع السابق، أن سابينا لا تشاركه تلك الرغبة التي جعلته بصراحة أكثر تصميماً على القيام بالعمل.

رد برايس على مدبرة المنزل وهو شارد الذهن: «شكراً لمساعدتك».

وتساءل عما ستكون خطوته التالية، فالاتصال الهاتفي لأخذ موعد لرسم المخططات الأولى لم ينجح!

قالت المرأة قبل أن تنهي المكالمة: «سأقول للآنسة سابينا إنك اتصلت».

اعترف برايس بنفاد صبر: لن يفيده هذا، وأعاد سماعته إلى مكانها. فهي على الأرجح عرفت أنه اتصل أربع مرات.. وبالرغم من أنه ترك رقم هاتفه، لم ترد سابينا على أي من اتصالاته.

قال له دايڤد لاتم بخشونة في حفلة الأسبوع الماضي:

ـ لو كنت مكانك لابتعدت عن العم ريتشارد.. إنه يهوى جمع الأشياء النفيسة.. ويعتبر سابينا جزءاً من تلك المجموعة.

إلا أن ريتشارد لاتم لم يكن الشخص الذي يثير اهتمام برايس، ولو أنه على ما يبدو، ما من سبيل آخر غيره للوصول إلى سابينا الجميلة...

كانت في الواقع مراوغة.. ولا تشاهد أبداً في أي مكان دون وجود ريتشارد، أو أحد موظفيه إلى جانبها.

عرف برايس هذا لأنه حضر عرض أزياء خيرياً نهاية الأسبوع الماضي مع ابن عمه فيرغوس وزوجته مصممة الأزياء، كلوي، عرف أن سابينا ستظهر

فيه. لكنه واجه جداراً صلباً هو حرسها الشخصي حين حاول أن يذهب إلى كواليس المسرح بعد العرض ليكلمها.

كما أنها لم تنضم إلى حفل الكوكتيل بعد العرض. وعرف برايس أن سابينا أُبعدت في سيارة خاصة بعد دورها فوراً.

لقد جاءت سابينا بمعنى جديد ومختلف لكلمة المراوغة.. وبصراحة تامة، اكتفى برايس بهذا القدر.

كان كذلك واثقاً تماماً من أن ريتشارد لاتم. لا يعرف أن سابينا تتجنب مكالماته. فالرجل كان مصمماً على أن يرسم برايس سابينا.

لم تكن المسافة بعيدة للوصول إلى منزل ريتشارد لاتم. السيارة الوحيدة في الطريق الداخلية، وهي مرسيدس رياضية، أكدت له أن هناك شخصاً في المنزل، وفي هذه اللحظات بالذات لم يكن من المهم أكان ريتشارد لاتم أم سابينا.. فهو ينوي الحصول على ذلك الموعد الموعود من واحد منهما!

لم يكن يعرف لماذا، لكنه دهش قليلاً في الأسبوع المنصرم حين أعلمه ريتشارد لاتم أنه وسابينا يتشاركان المنزل.. ومن المحتمل الفراش؟ هناك شيء غير ملموس في سابينا.. انعزال كان يبعدها عن كل من حولها. وواضح أن هذا الانعزال لا يشمل ريتشارد لاتم!

ـ نعم؟

كان برايس ضائعاً في أفكاره بحيث لم ينتبه إلى أن الباب قد فُتح بعدما قرع الجرس، وأخذت المرأة المسنة تنظر إليه.

قال بعناد: «أود مقابلة سابينا».

رفعت المرأة حاجبين أسودين: «هل لديك موعد؟».

لو كان لديه موعد، فلا سبب يدعوه ليكون هنا؟ كتم برايس غضبه بجهد. فعلى أي حال، لم تكن هذه المرأة مصدر غضبه. وقال بصوت خشن: «هل لك أن تقولي لسابينا إن السيد ماكليستر...».

كررت المرأة مقطبة: «ماكليستر؟».

ونظرت إلى الردهة خلفها بسرعة: «لكن، ألست..».

أكد لها برايس بنفاد صبر: «الرجل الذي اتصل مراراً في الأسبوع الماضي للتحدث إلى سابينا؟ أجل.. هذا أنا. والآن هل يمكنك رجاء أن تبلغي سابينا أنني هنا؟».

كان مقتنعاً تماماً، بعد أن ألقى نظرة إلى داخل المنزل، أن المرسيدس الرياضية المتوقفة في الطريق الداخلية هي لسابينا، وأنها كانت في المنزل حين كان يتصل، تماماً كما هي موجودة الآن.

ـ لكن..

ـ لا بأس سيدة كلارك.

وانفتح الباب واسعاً لتظهر سابينا إلى جانب مدبرة المنزل.. ودعته ببرود: «هل تود أن تدخل إلى غرفة الجلوس سيد ماكليستر؟».

هز رأسه باختصار، خائفاً من أن يتكلم للحظة.. فقد يقول شيئاً يندم عليه فيما بعد.. غريب، لم يكن يعتقد قط أن مزاجه قد يتعكر يوماً هكذا. لكن تجنب سابينا له طيلة الاسبوع المنصرم يكاد يفقده أعصابه.

بدت مرة أخرى مختلفة اليوم، كانت ترتدي بنطلوناً باهت اللون وتيشيرت أبيض، وشعرها الطويل مربوط في خصلة واحدة على طول ظهرها. بدا وجهها بدون تبرج. لم يكن لدى برايس فكرة عن عمرها، لكنها بدت في تلك اللحظة في حوالى الثامنة عشرة!

أشارت بيدها إلى مظهرها العادي وكشرت: «عليك أن تعذرني، كما أخشى».

واستدارت لتواجهه ما إن أصبحا لوحدهما في غرفة الجلوس.

ـ لقد عدت لتوي من ممارسة الرياضة.

رفع برايس حاجبين متسائلين: «لتوك؟».

لاقت نظرته دون أن ترمش: «هل لي أن أقدم لك بعض الشاي؟».

رفض بجفاء: «لا شكراً. لقد اتصلت بك عدة مرات في الأسبوع

الفائت».

انتقلت نظرتها قليلاً ولم تعد تلاقي نظرته وردت دونما اهتمام: «حقاً فعلت؟».

اللعنة.. لا يجب أن يكون هذا صعباً حقاً. فريتشارد لاتم هو الذي جاء إليه يكلفه.. ولم يكن برايس يرغب في أن يرسم سابينا... إلى أن رأى سابينا.

رد بنفاد صبر: «تعرفين جيداً أنني اتصلت».

هزت كتفيها: «كنت مشغولة جداً هذا الأسبوع، رحلة إلى باريس، عدة عروض أزياء هنا، جلسات تصوير مع..».

ـ أنا لست مهتماً بما كنت تفعلين سابينا.. أرغب فقط في أن أعرف لِمَا تتجنبين مكالماتي.

ـ لقد قلت لك لتوي..

قاطعها بحدة: «لا شيء.. حتى ولو لم تكوني هنا.. فأنا واثق من أن السيدة كلارك الكفؤة أعلمتك بكل مكالمة من مكالماتي».

اعترفت دون التزام: «ربما. هل أنت واثق من أنني لا أستطيع تقديم الشاي لك؟».

رد وهو يشدّ على أسنانه: «متأكد تماماً».

كانت برودة هذه المرأة كفيلة بتسخين دم أي رجل.

ـ والآن.. حول ذلك الموعد..

دعته بخفة: «أرجوك.. اجلس».

رد بخشونة: «شكراً.. أفضل الوقوف».

لم يخفف تحفظ هذه المرأة من سوء مزاجه.

هزت سابينا كتفيها قبل أن تجلس في أحد المقاعد وتمتمت بجفاء: «غريب.. لكنني كنت أعتقد بأنك فنان له سمعته؟».

نظر إليها برايس بحذر: «وأنا هكذا».

ـ حقاً؟ وهل تلاحق تكليفات العمل هكذا عادة؟

إنها تقصد الإهانة.. ونجحت.. وأحس برايس بالغضب يسري في عروقه. لكنه في الوقت ذاته تساءل لِمَا تحاول أن تعاديه وترفض أن يرسم لوحة لها، لأنه عرف أن هذا بالضبط ما تحاول فعله.

أخذ نفساً عميقاً مهدئاً.. وقال: «ربما سأشرب فنجاناً من الشاي، على أي حال».

وأراح نفسه في المقعد المقابل لها.

لكن نظره لم يبرح جمال وجهها البارد، قاصداً ألا تفوته أي خيبة أمل قد تنتج عن كلماته. عرف برايس بالرغم من دعوتها له لشرب الشاي أساساً، أن سابينا أرادته أن يخرج من هنا بأسرع وقت ممكن.

هل السبب أن ريتشارد لاتم قد يعود في أية لحظة، ويضع حداً لأي جهد من جهتها لتجنب رسم برايس لها..؟

وزاد من ارتياحه في المقعد: «لست مستعجلاً».

ردت بنبرة حادة: «عظيم. سأذهب لأكلم السيدة كلارك».

ولتأخذ أيضاً وقتاً تستعيد فيه رباطة جأشها، وقد أدرك برايس ذلك بسهولة. عرف الآن أنه ليس مخطئاً وتأكد أن سابينا مصرة على عدم السماح له برسمها.

لماذا؟ ما الذي لم يعجبها فيه؟ ولو أن برايس كان واثقاً من أن الذي رآه في عينيها في اللحظة التي لم تكن فيها منتبهة، ليس كراهية، بل شيئاً يشبه الخوف الذي أحسه حين شاهدها للمرة الأولى الأسبوع المنصرم.

لم تذهب سابينا إلى المطبخ مباشرة، بل ركضت إلى غرفة نومها أولاً لترش الماء البارد على خديها الساخنين.

لم يخطر ببالها حين رفضت أن ترد على أي من مكالمات برايس، أنه قد يأتي إلى هنا فعلاً! لكنها أدركت الآن أنها ربما كان يجب أن تفعل، فهناك تصميم عنيد في برايس ماكليستر يقول بوضوح إنه لا يحب أن يتجنبه أحد،

وعدم تواجدها للرد على مكالماته، هو بنظره تجنب واضح.. أدركت سابينا غلطتها الآن. وعرفت أنها كان يجب أن ترد على واحدة من مكالماته، كي تمنعه من المجيء إلى هنا شخصياً.

حسن جداً.. لقد فات الأوان الآن، ولا بد أن يعود ريتشارد إلى المنزل خلال ساعة، وهذا يعني أن عليها استعجال برايس ماكليستر لينهي الشاي.. وعليها وضع كل أنواع العراقيل لمنع أيّ موعد حالي، ثم تتابع إلغائه فيما بعد.

فبعد لقائهما الثاني أصبحت أكثر قناعة بأنها لا تريد أن يرسمها برايس ماكليستر.. مع أنها أدركت أنه فنان جيد جداً كما يدعي، وعرفت كذلك سبب كونه جيداً هكذا.. فبرايس ماكليستر هو تماماً كما اعتقدته في الأسبوع الماضي.. باحث عن الروح..

تلك العينان الخضراوان تريان أبعد من دروع الحماية، مباشرة إلى الروح، وعميقاً إلى المشاعر الحقيقية التي تجعل المرء بالضبط ما هو عليه، وما جعله هكذا. وما الذي حوّلها من فتاة اجتماعية مرحة إلى امرأة تحيط نفسها بحواجز، كانت مصممة على ألا يخترقها أحد..؟

بعد بضع دقائق، حين عادت للانضمام إليه في غرفة الجلوس، أعلنت بخفة: «سيأتي الشاي بعد لحظة.. قال لي ريتشارد إنك رسمت لوحة عظيمة لزوجة ابن خالتك، دارسي ماكنزي؟».

هز رأسه باختصار: «هذا ما قيل لي».

ابتسمت سابينا ابتسامة مشرقة لا معنى لها: «أظنه يأمل أن ترسم واحدة بمثل عظمتها لي».

نظر برايس ماكليستر إليها بعينين ضيقتين: «وماذا تأملين أنت سابينا؟».

ولم يكن بحاجة حقاً ليسألها هذا. فسابينا كانت متأكدة من أنه يعرف بالضبط ما تأمله.. ألاّ يرسمها أبداً، وأن يذهب بعيداً، ويتركها دون أن

تُمس دفاعاتها..

ردت بنعومة وهي تبادل نظرته الثاقبة بنظرة جوفاء: «الشيء نفسه.. طبعاً».

رد برايس بجفاء بعد صمت: «طبعاً.. أنا..».

ـ آه! الشاي.

واستدارت سابينا تبتسم للسيدة كلارك وهي تدخل الغرفة، والصينية التي تحملها تحتوي فقط على الشاي، حسب تعليمات سابينا، فهي لم تكن تنوي تقديم الكايك لبرايس ماكليستر وتأخير مغادرته ولو لبضع دقائق!

تمتم برايس بعد مغادرة مدبرة المنزل، عندما انحنت سابينا إلى الأمام لتصب الحليب والشاي في الفنجانين: «دون سكر لي.. شكراً».

الرد «أنت حلو بما يكفي» لا ينطبق على هذا الرجل.. واعترفت سابينا بجفاء.. صارم، مصمم، متعجرف قليلاً، ثاقب النظر جداً.

قال ساخراً: «تبدين وكأنك في بيتك هنا».

بالرغم من فجائية التصريح، تمكنت سابينا من متابعة صب الشاي بهدوء: «ولمَ لا أكون هكذا؟».

وأحستْ مرة أخرى بذلك الاعتراض على عيشها هنا مع ريتشارد.

سأل فجأة: «إذن.. متى أنت حرة لتجلسي أمامي لأرسم بعض الرسومات الأولية؟».

هزت رأسها بأسف وهي تستقيم في جلستها لتشرب الشاي: «لدي برنامج عمل حافل جداً للأشهر القادمة..».

تحداها وفمه يلتوي سخرية: «أنا واثق أن لديك ساعة فراغ».

ساعة.. أجل، وربما يوم فراغ من هنا أو من هناك. لكنها لم تكن راغبة في أن تخصص أي لحظة من وقتها لبرايس ماكليستر.

قالت بعدم اكتراث: «لكن حتى أنا أستحق بعض الوقت للراحة والاسترخاء».

رد بجفاء: «الجلوس في مقعد بينما أرسمك لن يتعبك».

لا.. لكن محاولة الإبقاء على ذلك الجدار الفارغ في عينيها لمدة ساعة أو أكثر محاولة إبعاد نظرته المقيّمة عن داخل نفسها.. متعبة قطعاً!

هزت كتفيها: «أخشى أن مفكرتي ليست بحوزتي الآن.. لكن ما إن أجدها حتى أتفحصها وأتصل بك».

أسرعت بإنهاء الحديث بعد أن لاحظت أن فنجان الشاي قد أصبح فارغاً.

رفع حاجبين أسودين، ووقف تحضيراً للمغادرة.

ـ غداً يوم السبت.. وبالتأكيد لست مشغولة لنهاية الأسبوع كلها كذلك؟

كتمت سابينا سخطها الغاضب بجهد.. فهذا الرجل ليس مصمماً فحسب، بل عنيداً كذلك!

كانت تدرك تدريجياً أنه عاقد النية على أن يبدأ بتلك الرسومات الأولية لأنه أحس بترددها في أن يرسمها.

هزت رأسها بأسف مزيف: «أخشى أن نكون مسافرين في نهاية هذا الأسبوع».

وتمكنت من قول هذا بصدق كامل، وبعض الرضى...

على الأقل، هذا ما شعرت به لبضع لحظات.. لأنها بعد ذلك سمعت صوت سيارة ريتشارد في الطريق الداخلية المؤدية إلى المنزل!

عادة تكون أكثر من سعيدة برؤيته.. وتشعر بأمان أكبر حين يكون موجوداً. لكن قلبها غاص اليوم وهي تدرك أنه عاد، لأنها تعرف أن ريتشارد بالرغم من تلميحاتها اللطيفة في الأسبوع الفائت بأنها لا تريد لوحة لها، كان مصمماً جداً على أن تُرسم اللوحة. وهو مصمم كذلك على أن يكون فنان تلك اللوحة، برايس ماكليستر.

قال برايس متشدقاً وقد بدا واضحاً أنه لم يقتنع بعذرها: «أمر

مؤسف».

لم يكن قد أحس بعد بوصول ريتشارد إلى المنزل. . أما سابينا فروضت تعابير وجهها وجعلتها مهذبة باردة كي لا يرى برايس ماكليستر مقدار الخيبة التي تشعر بها للقاء الرجلين ثانية. لقاء تحاول يائسة تجنبه!

تنهد برايس: «أتساءل. . ».

ـ سابينا؟ هل أنت. . ؟

دخل ريتشارد غرفة الجلوس مباشرة ثم توقف فجأة لأنه رأى أن سابينا لم تكن وحدها. وضاقت نظرته وهو يرى برايس ماكليستر في الغرفة، والفنجانين المستخدمين، يدلان بوضوح على أنه هنا منذ بعض الوقت.

وقفت سابينا على الفور: «ريتشارد!».

وقطعت الغرفة إلى جانب خطيبها، تشبك ذراعها بذراعه بحرارة وتبتسم له. . وقالت له بخفة مختلفة تماماً عن إحساسها: «لقد زارني السيد ماكليستر لتناول الشاي».

لم يكن برايس قد زارها بالضبط لشرب الشاي. لقد جاء في الواقع إلى هنا كي يحثرها لتحديد موعد لتلك الرسومات!

نظرت سابينا إليه، تتساءل ماذا سيقول بالضبط لريتشارد عن سبب وجوده هنا.

هل سيخبر ريتشارد بخططها المراوغة؟

تأوهت في داخلها لمجرد الفكرة، ولم يكن لديها شك في أن ريتشارد لن يكون مسروراً لأنها تعمدت تجنب برايس ماكليستر. وسيرغب في أن يعرف السبب، ما إن يصبحا وحدهما، ومن الصعب أن تقول له إنها فعلت هذا لأنها لا تريد أن ينظر برايس ماكليستر إلى روحها. . !

قال برايس ماكليستر بنعومة: «لقد جئت للزيارة شخصياً لأعتذر عن عدم اتصالي بأي منكما في الأسبوع الماضي. . كنت مشغولاً، كما أخشى. لكن هذا، مع ذلك، ليس عذراً لتأخري».

وابتسم مكشراً.

لم تستطع سابينا سوى التحديق فيه غير مصدقة. لقد كان مشغولاً. . ؟ تأخيره. . ؟ هو الذي يعتذر. . ؟ بينما هي التي. .

تقبل ريتشارد كلامه بخفة: «لا بأس في هذا».

واسترخى التوتر من جسمه لتفسير الرجل الآخر ونظر إليهما متسائلاً: «هل اتفقتما الآن على كل شيء؟».

نظرت سابينا إلى برايس، وهي لا تزال مذهولة للطريقة التي عالج بها الموقف ببضع كلمات مختصرة. . ولو غير دقيقة تماماً.

هل اتفقا على كل شيء الآن؟

الأهم من هذا. . لم كذب برايس ماكليستر لتوه؟ هي وحدها المستفيدة من سوء الفهم هذا. . وكما تعرف جيداً، لم تفعل شيئاً خلال تعارفهما حتى الآن يستحق مثل هذه اللباقة منه. في حين أن برايس، لم يفعل شيئاً حتى الآن يُظهر أنه قادر على مثل هذا الإحساس النبيل!

نظر إليها متسائلاً، ثم قال: «أعتقد هذا».

لهذا السبب كذب. . كي لا يكون لديها خيار سوى أن تحدد موعداً لرؤيته. لكن في هذه الظروف، هذا أقل ما هي مدينة به له. .

ـ ريتشارد، كنت أشرح لتوي للسيد ماكليستر. .

قاطعها بجفاء: «اسمي برايس».

رمقته بسرعة بنظرة متوترة قليلاً. إنها لا تريد أن ترفع الكلفة معه، وتنوي إبقاءه بحزم شديد على بُعد ذراع منها. . بل أبعد أيضاً لو استطاعت!

وصححت على مضض: «لبرايس. . . أنني متفرغة. . بعد ظهر الثلاثاء».

قال برايس متشدقاً: «كنت أهنئها على ذاكرتها. . أنا بحاجة دائمة إلى مراجعة مفكرتي قبل أخذ أي موعد».

www.elromancia.com

وسخرت بها عيناه الخضراوان.

نظرت سابينا إليه بحدة. اللعنة عليه.. كيف يجرؤ على السخرية منها وهو يعرف تماماً أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها؟ ربما لهذا السبب! فعلى أي حال، لا بد أن يُكافأ لأنه خلصها من الورطة بمثل ذلك النبل!

هز رأسه باختصار: «الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الثلاثاء إذن».

وبدا واضحاً أنه ملّ اللعبة التي يلعبها، وأصبح متلهفاً ليغادر وهو يأخذ بطاقة من جيب سترته.

لقد تمتع باللعبة.. اللعنة عليه.. واعترفت سابينا في نفسها بسخط.. لكن ما هو خيارها الآن..؟

وافقت باختصار: «عظيم..».

وأخذت البطاقة منه، متمنية أن تضيعها في مكان ما. لكنها تعرف أنه لن يفيدها بشيء حتى ولو أضاعتها، فإن الموعد بالنسبة لريتشارد منقوش في الحجر!

هز ريتشارد رأسه وأكد لها مبتسماً: «لدي اجتماع بعد ظهر ذلك اليوم، كما أخشى سابينا.. لكنني سأدع كليف يرافقك».

سأل برايس ببطء وخشونة: «كليف؟ يجب أن أخبرك منذ الآن، أنا على عكس سابينا، لا أحب أن يتفرج علي أحد وأنا أعمل».

ضحك ريتشارد دون مبالاة: «أؤكد لك.. كليف ليس متطفلاً أبداً. لكن، لو كان الأمر يزعجك، فيمكنه أن ينتظر في السيارة».

هز برايس رأسه: «يزعجني».

لكن ما من فكرة تزعج سابينا أكثر سوى التفكير بتلك الساعة التي ستقضيها معه في المرسم!

***

٢ ـ لماذا تهربين يا سابينا؟

ـ ماذا تعرفين عن عارضة الأزياء سابينا؟

وضعت كلوي السكين والشوكة من يدها باكتفاء لتنظر عبر مائدة الغداء إلى برايس، وتكمل: «لقد قلت لفيرغوس بعد مرافقتك لنا إلى عرض الأزياء يوم السبت الماضي إن هناك شيئاً ما يجري. لهذا دعوتني إلى الغداء لتسليني بينما فيرغوس مسافر إلى مانشستر لتوقيع كتاب».

كان برايس يحب زوجة ابن خالته كثيراً. وينظر إليها كأخت صغرى لم يكن له مثلها أبداً.. لكن أحياناً..!

قال لها بجفاء: «ليس هناك شيء «يجري» كلوي.. أنا سأرسم المرأة، وفكرت أن أعرف شيئاً عنها قبل أن أفعل».

ولم تستطع كلوي إخفاء خيبتها لتفسيره: «أوه».

هز برايس رأسه بخشونة لتعبير وجهها المتكمش: «كونك وفيرغوس سعيدان معاً، خاصة بعد معرفتكما بوجود طفل، لا يعني أن على كل من هم حولكما أن يحبوا أيضاً!».

ردت كلوي دون وجل: «لكن أليس من الرائع أن تحب؟».

رد متسلياً دونما اكتراث: «إنها امرأة مخطوبة كلوي».

ردت على الفور: «لكنهما لا يبدوان مستعجلين للزواج.. وريتشارد لاتم أكبر منها سناً بكثير».

كان برايس يعي هذا تماماً..

كان يعرف أن ابنيّ خالتيه لوغان وفيرغوس وجدا الحب الحقيقي في السنة الأخيرة، وأنهما وزوجتيهما، لن يحبوا شيئاً أكثر من أن ينضم إليهم في حالتهم السعيدة. المشكلة الوحيدة كانت تكمن في أنه لم يجد بعد المرأة التي يستطيع الوقوع في حبها!

ولم تكن عارضة الأزياء سابينا بكل تأكيد تلك المرأة. إنها جميلة، نعم. ومن لقائهما يوم الجمعة الماضي عرف أنها طبيعية تماماً. ولقد أثارت فضوله، ووجد خطوبتها لرجل أكبر منها بكثير أمراً غريباً قليلاً.

ما كان برايس يريد معرفته فعلاً، هو إن كان ريتشارد يحمي سابينا لأنه جامع للتحف الثمينة، أم هناك سبب آخر..؟

لهذا السبب تساءل عما إذا كانت كلوي، وهي مصممة أزياء، تعرف أي شيء عن سابينا قد يجيب على بعض تساؤلاته.. لكن، آخر شيء يريده، هو أن تظن كلوي أن له اهتمام شخصي بسابينا!

قرر تغيير الموضوع قليلاً، إذ يمكنه دائماً العودة إلى موضوع سابينا فيما بعد.

ـ كيف يسير الحال مع كتاب فيرغوس الأخير؟

قالت كلوي بافتخار ظاهر: «إنه يحتل المرتبة الأولى في لائحة أفضل المبيعات بعد أسبوعين فقط من نشره.. هل قرأته؟».

ـ لم أقرأه بعد.

وتابع تناول وجبته، وهو يعرف أنه نجح في إلهاء انتباه كلوي عن أجراس الزفاف المحتملة.

ـ إنه يدور حول موضوع عالم تصميم الأزياء.. أليس كذلك؟

كانت هذه الطريقة المثلى لإلهاء كلوي عن موضوع سابينا.. وتحدثا طيلة الدقائق الخمس عشرة التالية، عن نجاح كتاب فيرغوس الجديد.

تحدثا عن كل شيء إلا عن الجميلة سابينا.

لأنه وهو يتكلم مع كلوي عن المواضيع كافة باستثناء موضوع سابينا،

توصل برايس إلى أن يدرك أنه يهتم بها اهتماماً شخصياً!

كانت تتعمد البرودة والتباعد، وتضع الحواجز بينها وبين الآخرين.. مستثنية بوضوح ريتشارد لاتم. مع ذلك، وفي الوقت ذاته، هناك جو ضعف حولها يبدو أن لا مجال أبداً لتفسيره.

سابينا هي العارضة الأولى في العالم، جميلة جداً، مطلوبة كثيراً، وأجرها مرتفع جداً. ولا بد أن ما تكسبه يوازي أجور أرفع نجوم هوليود. مما يعني أن لديها المال لتكون ما تريد وتفعل ما تريد.. مع ذلك..

كان ذلك التساؤل هو الذي أثار فضول برايس. وجعله يفكر بسابينا حتى وهو لم يكن يعي أنه يفكر بها.. أدرك أنه تحول إلى مهووس بها.

إلا أنه كان يأمل أن يتقدم بعد ظهر اليوم قليلاً في طريقه نحو حل اللغز المسمى سابينا سميث!

ـ شكراً للغداء برايس.

ورفعت كلوي نفسها تقبل خده وهما يفترقان خارج المطعم، وأضافت بخبث: «وحظاً سعيداً مع سابينا بعد ظهر اليوم».

هز برايس رأسه بخشونة وهو يقود سيارته عائداً إلى منزله. لم يكن لديه شك في أنه ومع حلول المساء ستعرف العائلة كلها أنه سأل كلوي عن سابينا!

وصل إلى المنزل باكراً وما زال لديه متسع من الوقت ليعد نفسه لموعد الساعة الثالثة. لكن الساعة الثالثة أزفت ومضت، ولا أثر لسابينا.

اللعنة.. لن تأتي.. بعد أربعة أيام من الانتظار، بعد كل الترقب.. لن تأتي!

أحس برايس بالغضب يستعر في داخله، ولم يعد يشك في أن سابينا تعمدت عدم الحضور.. إنه.. ورن جرس الباب.

كانت الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة. ولم تكن قد اتصلت لتعلمه بأنها ستصل متأخرة. ومع ذلك، عرف برايس أنها هي، وروض تعابير

وجهه كي لا يُظهر أياً من غضبه.. فهذا على الأرجح ما تتوقعه.. لذا لن تحصل على مرادها!

ـ أنا آسفة جداً لتأخري.

ظلت سابينا تعتذر بإسراف في الوقت الذي كانت مدبرة منزله تدخلها إلى مرسمه بعد دقائق..

ـ كان عندي جلسة تصوير لإحدى المجلات هذا الصباح، وبالرغم من أنهم وعدوني أن أنتهي في الساعة الثانية، إلا أن الوقت طال وأنا..

ـ وأنت هنا الآن.

قاطع برايس بحزم تفسيرها المطول، لأنه كان واثقاً، وبالرغم من تعارفهما القصير، أن سابينا ليست من النوع الذي يسرف في الكلام، مما يعني حتماً أنها تحاول اختلاق شيء ما!

ـ هل تناولت الغداء؟

رمشت أمام التغيير المفاجيء للموضوع: «لا..».

ـ إذن، هل أقدم لك سندويشاً أو شيئاً آخر؟

ونظر إلى مدبرة منزله وهو يقدم العرض.

لكن سابينا رفضت حتى قبل أن تتمكن السيدة پوتر من أن ترد: «لا.. حقاً.. سأتناول شيئاً فيما بعد».

أكمل برايس برقة: «شاي أو قهوة، إذن؟».

يا الله.. إنها تبدو جميلة اليوم. التيشيرت ملتصق بجسمها، ولونه أزرق كعينيها. شعرها اليوم منسدل، يشع كستارة ذهبية على ظهرها. منذ أن وقع نظر برايس عليها اليوم حتى تشوّق إلى أن يأخذ قلماً وورقاً ليبدأ الرسم.

بدت سابينا مصممة على الرفض مرة أخرى، ثم فكرت بطريقة أفضل: «القهوة ستكون رائعة جداً شكراً لك».

وابتسمت بحرارة لمدبرة المنزل.

لم يستطع برايس ردع نفسه عن السؤال: «وماذا عن كليف؟».

كان واثقاً أن السائق يجلس في الخارج منتظراً ليقل سابينا إلى المنزل الذي تتشاركه وريتشارد لاتم. تماماً كما كان واثقاً بأن كليف كان يجلس في الخارج ينتظر سابينا لتنتهي من جلسة التصوير هذا الصباح!

وأضاف ساخراً: «أتظنين أنه قد يرغب بشرب القهوة كذلك؟».

ضاقت نظرة سابينا وهي تنظر إليه لثوان عديدة طويلة صامتة، ثم أجابت ببطء: «لا.. أنا واثقة أن كليف سيكون بخير. آمل ألا أكون أسبب لكِ إزعاجاً كبيراً».

ووجهت كلامها إلى مدبرة المنزل.

استطاع برايس أن يرى، مع مغادرة السيدة پوتر المرسم والابتسامة على وجهها، أن فتنة سابينا الصادقة سحرتها.

لم يعد يشك أنه سيكون هناك أكثر من فنجان قهوة على الصينية التي عادت بها مدبرة المنزل بعد دقائق.

ـ أين تريدني؟

بقي تعبير برايس الخارجي جامداً. ورد عليها مفكراً: «على الأريكة.. كما أعتقد، كبداية. أنا في الواقع لست واثقاً مما سأفعله بعد».

ما السبيل لإعطاء جمال كجمال سابينا حقه؟

لم يكن هناك شك في جمالها الظاهري.. لكن هناك أكثر من هذا.. جمال طبيعي لا يدين بشيء لأدوات التجميل.. سابينا إنسانة داخلية تحتاج لمن يصل إليها. وهو مصمم، مهما كانت الحواجز التي قد تختار أن ترفعها، أن يصل إلى سابينا هذه!

تحركت سابينا لتجلس على الأريكة، وشمس شهر أيار تشع بقوة عبر النوافذ التي تشكل جداراً كاملاً في مرسم برايس ماكليستر. كانت الحديقة في الخارج تعجّ بزهور الربيع، وقد أنعش منظر ذلك الخليط البرّاق من الزهور روح سابينا.

سألت باهتمام: «هل تهتم بالحديقة بنفسك؟».

استدارت تنظر إلى برايس ماكليستر، لتجده منغمساً في وضع أوراق الرسم على ركبته وهو يجلس قبالتها.. وتمتمت ساخطة قليلاً: «لم أكن أعرف أنك بدأت».

عرفت أنه فاجأها وهي تنظر إلى الحديقة في الخارج.

ردّ من دون اهتمام: «بدأت رسماً أولياً فقط».

وأولاها اهتمامه الكامل. بدا مسترخياً جداً في بنطلون أزرق وقميص أسود.

ـ نعم.. أعتني بالحديقة بنفسي. وأجد راحة أرحب بها بعد بقائي في المرسم لساعات.. هل تحبين العناية بالحديقة؟

تحول تعبير وجهها إلى الأسف: «كنت».

ـ قبل أن يجعل ضغط العمل هذا مستحيلاً.

وهبط ساتر على عينيها، وتمتمت: «شيء من هذا القبيل».

كرر برايس بنعومة: «شيء من هذا القبيل؟».

تحركت سابينا بغير ارتياح: «لست واثقة من أنني سأجيد هذا.. فأنا ببساطة لا أجيد الجلوس دون حراك».

هزّ رأسه: «قفي وتمشي إذا كنت تفضلين.. فأنا لست واثقاً من أن الجلوس هو وضعية الرسم الملائمة لك، على أية حال».

تساءلت سابينا في نفسها وهي تقف وتتحرك بقلق، أي وضع يظن بالضبط أنه يناسبها؟

يحتاج مرسم برايس ماكليستر إلى الترتيب. ومع ذلك فهو منظم، قماش الرسم مكوّم على الجدران، الألوان والأقلام والورق مرتبة فوق رفوف مفتوحة. في الغرفة مفروشات قليلة، كرسي يجلس عليها وطاولة رسم ضخمة، وأريكة تجلس سابينا عليها.

عادت السيدة پوتر إلى الغرفة تحمل صينية مليئة بالسندويشات وبكايك

الفاكهة، وضعتها على الطاولة.

ـ تفضلا.

قالت سابينا للمرأة الأخرى: «شكراً لك».

دعاها برايس بجفاء ما إن غادرت مدبرة منزله الغرفة: «تفضلي.. اختاري ما شئت».

صبت الشاي في فنجانين، قبل أن تأخذ أحد السندويشات بالدجاج. ولم تكن تعتقد أنها جائعة، إلا أن قضمة واحدة من السندويش اللذيذ أكدت لها أنها جائعة.

راقبها برايس بعينين مفكرتين: «هل يفوتك الغداء دائماً؟».

هزت سابينا كتفيها، وأكدت بجفاء: «بعض الأحيان.. لكنني عادة أعوض عنه.. فأنا لا أجوّع نفسي، إذا كان هذا ما تظنه. أنا طبيعية هكذا».

وأشارت إلى جسمها النحيل.

هز رأسه: «ورائعة كذلك.. متى الزواج؟».

رمشت سابينا بعينيها مندهشة من التغيير المفاجىء في الموضوع: «آسفة..؟».

هز كتفيه: «لقد ألمح ريتشارد أن رسم لوحة لك هو هدية زواج لنفسه، وكنت أتساءل فقط، كم أملك من الوقت».

قطبت: «أعتقد أنك أسأت الفهم».

فهما لم يناقشا ما إذا كان «التفاهم» بينهما سيقود إلى زواج.

رفع حاجبين أسودين: «لا؟ أعطاني ريتشارد الانطباع أن الزواج وشيك».

ردت ببرودة، وهي واثقة من أنه أساء فهم ريتشارد: «حقاً؟».

تابع برايس بعناد: «أعتقد هذا. هناك فارق كبير في السن بينكما، أليس كذلك؟».

احمر خداها سخطاً.. فما شأن هذا الرجل بفارق السن بينها وبين

خطيبها؟ لا شيء إطلاقاً..

أضاف برايس ساخراً: «الربيع والخريف».

التوى فمها: «في سن الخامسة والعشرين بالكاد أكون ربيعاً.. الصيف هو وصف ملائم أكثر.. وبكل تأكيد، السن مسألة ثانوية في أيامنا هذه».

رد بنعومة: «حقاً؟».

عبست سابينا في وجهه، واضطربت أكثر مما اعترفت بسبب ما قاله. فقد كانت وريتشارد مجرد صديقين.. لا شيء غيره.. ولا بد أن برايس أساء فهم ريتشارد! ألا يجب...؟

قالت بحدة غاضبة: «ظننت أنني جئت إلى هنا كي ترسمني سيد ماكليستر.. وليس لتسألني عن حياتي الشخصية!».

قال بنعومة: «اسمي برايس».

قالت بحدة: «أفضّل السيد ماكليستر».

إلاّ أن ما تفضله حقاً هو إبقاء هذا الرجل بعيداً عنها.

هز كتفيه بعدم اكتراث: «على أي حال أيمكنكِ أن تقفي قرب المدفأة؟».

ونظر مقطباً إلى أوراق رسمه، وكأنما ذلك الحديث الشخصي لم يجر أبداً، وغضبت سابينا من نفسها وهي تتحرك لتقف إلى جانب المدفأة غير المشتعلة.

تنفس برايس رضىً لوضعها الجديد: «أجل.. لكن الملابس غير مناسبة أبداً، بالطبع. ولا يعني هذا أنك لا تبدين جميلة فيها، إنها فقط غير مناسبة للطريقة التي أريد رسمك بها».

ردت بنفاد صبر: «وأي طريقة تلك؟».

لم يردّ عليها، وقطب وهو ينظر إليها من بين ضربات قلمه السريع على ورقة الرسم الموضوعة أمامه.

بقيت سابينا واقفة كما كانت تماماً، وقد اعتادت تلك النظرة الجامدة

من بعض جلسات التصوير الفوتوغرافي. «المعلم» يعمل، وللوقت الحاضر، هي غير موجودة كشخص.

كان هذا لا بأس به معها، إنها هنا رغماً عنها، وآخر شيء تريده هو المزيد من الأحاديث الشخصية مع برايس ماكليستر. خاصة من النوع الذي كان يجري لتوه.

أخيراً أحست أنها مرغمة أن تسأله بعد ساعة: «أهناك الكثير من جلسات الرسم هذه؟».

رفع برايس رأسه ونظر إليها مقطباً، وأفكاره لا تزال مشغولة بالرسم.

ـ الكثير من ماذا؟

ـ هذه الأوضاع.. أو في هذه الحالة، الوقوف. هل أنا بحاجة إلى الكثير منه؟

وضع ورق الرسم على الطاولة قربه، محركاً عضلات كتفه.

إنه في الواقع، رجل وسيم جداً، واعترفت سابينا بهذا رغماً عنها.. تلك الطلعة الجميلة السمراء المفكرة، كانت كشعر «بايرون». وذلك الشعر الأسود، كان يعطيه مظهراً بدوياً أشعث. ولو أن سابينا واثقة من أن الرومانسي «بايرون» لم يكن له تلك النظرة الذكورية المقيمة في عينيه. فتلك العينان الخضراوان العميقتان تحاولان النظر إلى ما وراء واجهتها المهذبة والوصول إلى سابينا من الداخل!

أخيراً تشدق بنعومة: «لماذا؟».

هزت كتفيها: «كما سبق وشرحت لك.. أنا..».

قاطع كلامها ساخراً: «مشغولة.. أجل لقد سبق وشرحت هذا، عدة مرات حسبما أذكر».

والتقط فنجانه ليشرب جرعة واحدة من الشاي الذي أصبح بارداً: «السؤال هو لمَ أنتِ مشغولة هكذا؟».

ونظر إليها نظرة ضيقة: «كما تبيّن لي، فأنت منذ خمس سنوات وحتى

الآن واحدة من أفضل العارضات في العالم. . فلما إذاً تحتاجين للعمل بهذه السرعة؟».

لأن العمل يمنعها من التفكير، من التذكر، ويعني أنها ستكون متعبة جداً في الليل ولا تستطيع أن تفعل شيئاً سوى أن ترتمي في الفراش وتنام!

لكن، ما من واحدة من الأفكار كانت تبرز في تعابير وجهها، وردت بجفاء: «كي أبقى واحدة من أفضل العارضات في العالم».

كوّر برايس فمه: «وهل هذا مهم لك؟».

واحمر خداها للسخرية الواضحة في رنة صوته، وردت ساخرة: «وهل من المهم لك أن تكون واحداً من أفضل الفنانين؟».

انزعجت منه لأنه قلّل من سمعة مهنتها. وقد تبين شعوره في رنة صوته.

حسناً. . لا يحتاج الأمر إلى كثير من الذكاء لتصبح المرأة عارضة أزياء. . بل إلى مظهر جيد، ونسبة حظ. . لكن بكل تأكيد يلزمها الكثير لتبقى عارضة، فهي تعمل جاهدة، ولا تعطي إلا أفضل ما عندها. كرهت سابينا بعمق تلميحه عكس ذلك. فهي لطالما نظرت إلى نفسها كفنانة، وعلى طريقتها الخاصة.

قال بجفاء: «أصبتِ إصابة عادلة، لكنني لا أستطيع أن أتصور نفسي أقوم بما تقومين به، يوماً بعد يوم».

وهز كتفيه.

ضاقت عينا سابينا الزرقاوان وهي تنظر إليه: «هل تقصد أن تكون مهيناً سيد ماكليستر، أم أنك تتصرف بطبيعية؟».

ضحك دون تردد: «قليل من الأمرين، على الأرجح».

هزت رأسها وهي لا تصدق مدى عجرفته. . وتمتمت ببطء: «أنت لاتهتم. . أليس كذلك؟».

بدا محتاراً: «بماذا؟».

أدركت بعجب: «بكل شيء».

وكم تمنت لو لا يزال لديها تلك النظرة المتسلية للحياة، ولو تستطيع أن تضحك على نفسها كما تضحك مع الآخرين، لكنها كانت تعرف أنها لم تعد هكذا، وأنها لن تكون مرة أخرى. . والفضل لـ. .

لا. . لن تفكر بهذا. . لا تستطيع.

قررت فجأة: «أعتقد أنه حان وقت ذهابي».

ونظرت عن عمد إلى ساعة معصمها الذهبية، هدية خطوبة من ريتشارد. الساعة وخاتم خطوبة ألماسي، كانا القطعتين الوحيدتين من المجوهرات اللتين تضمهما.

كان برايس ماكليستر يراقبها مفكراً، ورأسه يلتوي قليلاً إلى جانب واحد، ونظرته الخضراء ضيقة مقيمة. أخيراً سألها متحدياً: «لماذا؟».

وكان تحدياً التقطته سابينا بسهولة. واختارت أن تتجاهله، وقالت مصممة: «لأن لدي مكان آخر أذهب إليه».

- إلى منزل ريتشارد؟

ووقف ببطء، وقامته تملأ الغرفة.

تراجعت سابينا خطوة إلى الوراء، باتت الغرفة فجأة صغيرة بشكل خانق. ووجدت نفسها كذلك قريبة جداً من المدفأة.

سار برايس ببطء نحوها ونظرته الضيقة لا تغادر وجهها.

للمرة الثانية، أحست بالدفء الرجولي المتصاعد منه. وشمّت اللذعة الخفيفة لعطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه. واستطاعت رؤية كل مسامة وشعرة على بشرته السمراء. لكن، لم يكن هذا ما أعاق أنفاسها، بل أدركت أن قربه الجسدي هو الذي فعل فعله معها.

ابتلعت ريقها بقوة وقالت مقطوعة الأنفاس: «عليّ أن أذهب حقاً».

نظر برايس إليها بثبات وسأل بصوت أجش: «ما الذي يمنعك؟».

ساقاها رفضتا الحركة. في الواقع، أحست بضعف شديد في ركبتيها،

وكانتا بالكاد تبقيانها واقفة. أحست أنها عاجزة عن الحركة، حتى في وجه الخطر الواضح.

وكان برايس ماكليستر كما اقتنعت في لقائهما الثاني.. هو الخطر بذاته!

بللت شفتين جفتا فجأة: «لو ابتعدت فقط عن طريقي..؟».

خطا قليلاً إلى الجانب ودعاها بلطف: «تفضلي».

أجبرت سابينا ساقيها على الحركة، وقطعت الغرفة بسرعة وتصميم متجهة نحو الباب، لتضع قدر ما تستطيع من مسافة بينها وبين برايس ماكليستر في الاستديو الضيق.

ـ سأتصل بك.

استدارت سابينا بحدة وهو يكلمها، ووضعت يدها المرتجفة على مقبض الباب: «عفواً؟».

رفع برايس حاجبين أسودين، والتوى فمه في تسلية ساخرة.. وقال شارحاً: «قلت، سأتصل بك. من أجل الجلسة الثانية».

تماسكي سابينا! أمرت نفسها بعناد. ماذا حدث للتو؟ لقد وقف برايس ماكليستر في مكان تعتبره قريباً جداً منها! وماذا في هذا؟ مع ذلك عرفت أن هذا لم يكن حقاً كل ما حدث، وأنه كان هناك شرارة إحساس بينهما تمنّت عدم وجودها..

قال برايس بثقة: «ربما تتلطفين علي هذه المرة وتردين على مكالمتي؟».

لوّن الاحمرار خديها لتأكيده أن ليس لديها خيار سوى أن تفعل هذا بالضبط. وردت بخشونة: «هذا لو صدف أن كنت في المنزل».

هز كتفيه: «إذا لم تكوني موجودة، فأنا واثق أنني وريتشارد نستطيع أن نحدّد موعداً».

ضاقت عينا سابينا: «على عكس ما تفترضه سيد ماكليستر.. أنا أحدد مواعيدي الخاصة».

مرة أخرى ابتسم لها ابتسامة دون مرح.

ـ لم يكن هذا الانطباع الذي كوّنته في آخر لقاء لنا.

نظرت إليه مفكرة لثوان عديدة طويلة، أخيراً قالت بنعومة: «أتعلم سيد ماكليستر.. أنا حقاً لا أهتم أبداً بما كان أو لم يكن انطباعك في آخر لقاء لنا.. في الواقع، لا شيء حولك يثير أدنى اهتمامي».

رفع حاجبين أسودين: «لا؟».

أكدت بقوة: «لا! وداعاً سيد ماكليستر».

وفتحت الباب بحدة.

قال ساخراً بنعومة: «إلى اللقاء دون شك يا سابينا..؟».

ولم تلتفت سابينا لتعترف بالتحدي الساخر، وسارت متصلبة إلى خارج الغرفة، وأغلقت الباب الأمامي وراءها وهي تغادر المنزل.

لم تطلق العنان لمشاعرها سوى حين أصبحت آمنة في السيارة، يقودها كليف نحو منزل ريتشارد.

لم تحب الطريقة التي نظر فيها برايس ماكليستر إليها، ولم يعجبها أن يكون قريباً منها، كما لم تعجبها طريقة كلامه معها. في الواقع.. لم يعجبها أبداً!

لم يكن لديها فكرة كيف ستنفذ ما تريد، لكنها لم تكن تنوي أن تبقى وحدها مع برايس في مرسمه مرة أخرى.

* * *

٣ ـ العذاب في رسالة

لعن برايس نفسه مرات لا تُحصى ذلك الأسبوع، وندم على طريقة تصرفه مع سابينا الثلاثاء الماضي.

لقد سبق ورأى الخوف والارتباك في عينيها في لقائهما الأول. وأدرك أنها من الداخل غزال صغير مذعور يستعد للهرب. مع ذلك، فشيطان ما دفعه لمحاولة الحصول على رد فعل منها.. ليمازحها ويسخر منها في جهد للوصول إلى ما وراء الواجهة الباردة التي تحب أن تقدمها للعالم.

لكن، كل ما نجح به كان أن يزيد من نفورها.

أوه.. لم ينتج عن هذا أن رفضت الرد على مكالماته هذه المرة، بل ردت على الأربع منها.. واختلقت عذراً مقبولاً لكل اقتراح تقدم به لجلسة ثانية!

وماذا تركت له؟ إنها قادرة على توفير ساعة هذا الصباح. لكن يجب أن تكون الساعة في منزلها، وعلى الأرجح تحت مراقبة ريتشارد الهادئة!

واضطر إلى الاعتراف بعد بضع دقائق، بعد أن أُدخل إلى غرفة الجلوس حيث تنتظر سابينا، لوحدها، أنها مسترخية أكثر بكثير في محيطها. وابتسمت له بأدب وهي تقدم له الشاي أو القهوة، ورفض كليهما.

بدت رائعة في ذلك اليوم أيضاً، وهي ترتدي بلوزة حريرية عاجية وتنورة سوداء ضيقة تنتهي فوق الركبة تماماً، شعرها مجموع في «شينيون» مرتب في مؤخرة رأسها.. ولم تبدُ بوجه عام، تلك المرأة التي يريد برايس أن يلتقط ملامحها على القماش!

تشدق يسأل ساخراً: «تتدربين على الأعمال البيتية؟».

كان مصمماً على أن يكون مهنياً بالكامل اليوم، وأن يريح سابينا، ولكنه بطريقة ما لم يستطع منع نفسه. فسابينا الجديدة هذه تلعب دوراً.. لم يشك برايس أبداً أنها تتصرف هكذا بسببه، وتبين له أنه قد أصاب وتراً حساساً بتصرفه في الأسبوع الفائت!

ابتسمت له ببرود: «كنت على حق الأسبوع الماضي برايس.. يبدو أن سوء الخلق يأتي طبيعياً منك».

كان هذا إشارة له كي يعتذر، لكنه لم يستطع. شيء ما في هذه المرأة يجعله يريد أن يمسك بكتفيها ويهزها، أن يراها تضحك، أو تبكي، أن تُظهر إحساساً مندفعاً، تكون نتيجته طرده خارجاً!

هز كتفيه: «كنت أراقب فقط. أنا آسف، لكن عليك أن تُسوي شعرك، على الأقل».

وجلس يستقر في مقعد مع دفتر الرسم والقلم.

هزت رأسها: «أخشى أن أكون خارجة للغداء بعد هذا فوراً، ولن يكون لدي الوقت لإعادة ترتيب شعري».

كتم برايس توتره.. ستعطيه ساعة واحدة فقط من وقتها!

قال بصوت مهين: «تبدين وكأنك على وشك مقابلة مدير مصرفك».

ولم تطرف نظرتها للحظة، رغم أنه رأى في عمق عينيها الزرقاوين فورة غضب قصيرة.

ردت ببطء بارد: «إنها أمي في الواقع».

رفع حاجبين أسودين: «ابنتها أشهر عارضة أزياء في العالم.. وتحب أن تراك هكذا؟».

لم يستطع إخفاء عجبه.

تصلبت سابينا ساخطة: «وممّا يشكو مظهري؟».

كان من الأسهل أن يقول ما هو الجيد في مظهرها، لا شيء! لكن

تسريحة الشعر هذه، وهذه الملابس، تأخذ منها كل شخصيتها.

ـ لقد عاشت أمي في اسكتلندة منذ وفاة والدي، لذا فأنا لا أراها سوى مرتين في السنة.. إنها.. ملتزمة في نظرتها.

ضاقت نظرته: «بأية طريقة؟».

هزت سابينا كتفيها: «كانت وأبي ملتزمين في عملهما. كلاهما يدرّس التاريخ في الجامعة. ولا أظنهما كانا ينويان أبداً إنجاب الأولاد.. لكن المفاجآت تحدث».

وكشرت سابينا: «كانا أكبر سناً من معظم الآباء حين ولدت، أمي في الواحدة والأربعين، وأبي في السادسة والأربعين. ولو أنني أعتقد أن أبي قام بدور الأبوة أفضل من أمي..».

شعر برايس أنها متوترة جداً في هذه الجلسة الثانية أكثر منه. وقال بخشونة: «لا بد أن كنت صدمة بالنسبة لهما».

وبأكثر من طريقة، فلا بد أن الحمل كان صدمة تكفي. لكن كيف استطاع والداها المسنان التعامل مع جمال سابينا وهي فتاة صغيرة؟

اعترفت بأسى: «أجل.. كانت طفولة غريبة».

وعلى الأرجح أنها كانت طفولة وحيدة، وأدرك برايس هذا مقطباً. وهو أمر وجد من الصعب التفكير فيه. فهو تربّى وسط أسرة شابة محبة للمرح. وحين لم يكن مع والديه كان في اسكتلندة مع جده، وابني خالتيه لوغان وفيرغوس. طفولته كانت مكتملة.

سأل باهتمام وحذر كي لا يفسد المزاج: «أي من أبويك تشبهين؟».

أحسّ أن سابينا نادراً ما تتكلم عن أبويها وطفولتها. وإن لفت انتباهها لهذا الأمر الآن فقد ينتج عنه أن تمتنع عن الكلام مرة أخرى.

أعطت سابينا شبح ابتسامة: «إنه أبي».

وتلاشت تلك الابتسامة كما ظهرت، وأضافت بهدوء: «لقد مات منذ خمس سنوات».

ووالدتها تعيش في اسكتلندة منذ ذلك الوقت.

ـ أنا آسف.

كان آسفاً حقاً. حتى من القليل الذي قالته، بدا من الواضح أن سابينا كانت أقرب إلى والدها من والدتها.

وربما كان في ذلك القرب من والدها، وموته منذ خمس سنوات، تفسير لخطوبتها برجل أكبر منها سناً؟

هزت سابينا كتفيها: «كان مريضاً بالسرطان لبعض الوقت.. وكان الموت راحة مرحباً بها له».

كانت تتكلم دون عاطفة: «لكنني أسفت دائماً لأنه لم يكن موجوداً لرؤيتي وأنا أحصل على شهادتي الجامعية في التاريخ.. أجل، برايس..».

وابتسمت لدهشته الواضحة: «.. لقد ذهبت إلى الجامعة. لم أكن دوماً عارضة أزياء».

كان يستحق سخريتها، واعترف بهذا في نفسه.

وتلاشى مرح سابينا، وأصبح تعبير وجهها محايداً مرة أخرى.

ـ والدتي، كما هو واضح، مؤمنة جداً بتعليم المرأة، وتؤمن أنه يجب أن يكون للنساء خيارات متعددة في الحياة على قدر ما يمكن أن يحققن.

والتوى فمها بخشونة: «لا أعتقد أنها متأثرة جداً لأنني اخترت في الوقت الحاضر عرض الأزياء».

هز برايس كتفيه وعبس فجأة: «لكن من الواضح أن هذا خيارك.. وإذا كانت والدتك تقليدية إلى هذا الحد في نظرتها، فماذا تقول عن عيشك هنا مع ريتشارد علناً؟».

ولم يكن قد أنهى كلامه حتى عرف أنه ارتكب غلطة فادحة.

وقفت سابينا بغتة ما إن سأل السؤال.. والعينان الزرقاوان مشتعلتان بغضب عارم.

ـ أنت تتطرق لأمر شخصي سيد ماكليستر!

وارتفعت بقعتان حمراوان إلى خديها.

وأدرك برايس أن غضبها لم يكن كله موجهاً ضده. فقد انجرت في حديث شبه صريح عن والديها، وكشفت عن نفسها أمام برايس. وواضح أنها غاضبة الآن من نفسها لهذا السبب.

بقي برايس جالساً، وسأل بلطف: «على ذكر ريتشارد.. أين خطيبك اليوم؟».

كان حقاً يتوقع أن يكون ريتشارد هنا اليوم، كي يراقب على الأقل إحدى ممتلكاته التي لا تقدر بثمن!

ردت باختصار: «إنه مسافر إلى نيويورك وسيعود غداً».

ـ في هذه الحالة.. هل تتناولين العشاء معي هذا المساء؟

ثم وبّخ نفسه. ماذا يفعل بحق السماء؟ سابينا امرأة مخطوبة، وهي لم تعط أي دليل إطلاقاً على أنها مهتمة أبداً بقضاء وقت برفقته. في الواقع يبدو العكس هو الصحيح!

بدت سابينا مصدومة بهذه الدعوة تماماً كما كان برايس مصدوماً لأنه دعاها.

تلاشى لون الغضب من خديها، ليتركها شاحبة كالمرمر، وعيناها قاتمتان لا قرار لهما وهي تحدق إليه دون أن تفهم.

لمع الخاتم الألماسي في يد سابينا تحت نور الشمس المشرقة عبر النوافذ كأنه يحاول تعذيب برايس بسبب جرأته. كان هذا الخاتم هدية الخطوبة من ريتشارد لاتم.

رفع برايس يديه اعتذاراً: «كانت مجرد فكرة.. سيئة.. لكنها كانت دعوة للعشاء فقط سابينا».

تابع بغضب وهي تقف دون حراك: «ولم يكن اقتراحاً هاماً!».

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تأخذ نفساً خشناً: «لم أكن أعتقد..».

وصمتت مع سماع دقة خفيفة على الباب، ودعت بصوت أجش:

«أدخل».

وارتاحت بوضوح لمقاطعة مدبرة المنزل. كما ارتاح برايس من جهته، فقد أخرته مدبرة المنزل لتوها عن تلقي صفعة كلامية في وجهه!

ـ لقد طلبت مني إدخال البريد فوراً حين يصل.

ومدت السيدة كلارك صينية فضية عليها على الأقل نصف دزينة من الرسائل.

ـ شكراً لك.

ابتسمت سابينا مجدداً وهي تأخذ الرسائل، بدت متوترة في حين كان برايس يراقبها عبر الغرفة.

ما الذي دفعه بحق السماء ليقوم بمثل هذه الدعوة؟ لقد فعلت سابينا المستحيل لتُظهر له أنها لا ترغب بأن تكون بصحبته، مهما كان السبب. فلماذا إذن وضع نفسه في هذا الموقف السخيف؟ ربما على الأرجح بسبب ذلك النفور التام الذي لم تجهد نفسها في إخفائه، وقد تقبله بخشونة.

لم يكن يتوقع أن ترتمي كل امرأة أمام قدميه، كما تظن سابينا، بل العكس. لكنه لا يواجه تأثير الكراهية من أول نظرة، بهذه الطريقة عادة!

كانت له حصته من العلاقات عبر السنين. لكنه لم يكن قادراً على أن يتذكر امرأة كرهته فوراً كسابينا..

على العكس، لقد نجح هذا الشعور في جعله أكثر اهتماماً بسابينا!

غادرت مدبرة المنزل الغرفة، ووقف برايس فجأة. وقال بصوت أجش: «أعتقد أنه من الأفضل إنهاء جلسة اليوم. فواضح أنك..».

وتوقف عن الكلام، حين استدارت سابينا بحدة نحوه، موقعة الرسائل من يدها على السجادة نتيجة لهذا.

سأل بحدة مع وقوف سابينا ببطء دون أن تلتقط الرسائل، ووجهها ليس أبيض تماماً بل رمادياً كلون الشبح.

ـ ما الأمر؟ سابينا..؟

وتحرك فجأة إلى جانبها، يمسك أعلى ذراعيها ونظرته تبحث في جمال وجهها المعذب. بدت وكأنها على وشك أن يغمى عليها!

ـ تعالي.. اجلسي.

ووضعها في أحد المقاعد قبل أن يعود إلى الصينية على طاولة جانبية ويصب الشاي في فنجان كبير.

رفضت سابينا بخشونة: «لا.. شكراً. لا أعتقد أن أمي ستتأثر كثيراً لو ذهبت إلى الغداء ومعدتي ملآنة!».

عرف برايس أنها تحاول صرف نظره كيلا يدرك أنها تبدو في حالة مريعة، إلا أن محاولتها باءت بالفشل.

قطب وهو ينظر إليها، وهو يشعر أنها بحاجة إلى الشراب الساخن الذي في يده.

ـ هل فكرة العشاء معي كريهة حقاً بالنسبة لك..؟

ولم يستطع أن يصدق أن لدعوته هذا القدر من التأثير عليها.

رفعت سابينا نظرها إليه مقطبة: «آسفة؟».

وهذا ما قاد برايس إلى أن يتساءل عما إذا كانت دعوته هي التي سببت هذا التحول فيها. لكن إذا لم تكن الدعوة هي السبب فما سبب توعكها المفاجيء.. ماذا..؟ نظر إلى الرسائل التي التقطتها لتوها، معظمها في يدها اليمنى، بينما اليد اليسرى مطبقة بإحكام على مغلف مسحوق بين أصابعها بشدة إلى أن ابيضّت عقد الأصابع..!

نظر برايس إليها متفرساً.. لم يكن لديها وقت لفتح أية رسالة. مع ذلك، مجرد رؤية المغلف كان يكفي ليخفي اللون من وجهها!

ـ سابينا..

وقفت بسرعة، وقالت له بخفة مفتعلة: «بالطبع فكرة العشاء معك ليست كريهة..».

وتجنبت نظرته تماماً، وقالت: «في الواقع تبدو فكرة رائعة».

لم يكن هذا هو الانطباع الذي أعطته، قبل وصول مدبرة المنزل بالبريد.. في الواقع، كان برايس متأكداً أن سابينا عازمة على رفض الدعوة.

لكن، ولسبب ما، تعرفت إلى ذلك المغلف الأخضر، وعرفت ممن هو، دون أن تفتحه. لقد أزعجها بما يكفي بحيث قبلت دعوة برايس للعشاء.

قال قبل أن تتاح لها فرصة تغيير رأيها: «عظيم. سأزورك حوالى السابعة والنصف، إذا كان لا بأس في هذا؟».

وافقت بسرعة، وقد بدا واضحاً أنها تتلهف لمغادرته: «رائع..».

ربما لتتمكن من قراءة الرسالة الموضوعة في ذلك المغلف الأخضر..؟

التوى فمه بخشونة: «هل أحجز طاولة لثلاثة.. أم ستعطين كليف فرصة هذا المساء؟».

بالتأكيد لم تكن تعجبه فكرة الجلوس للعشاء مع سابينا تحت نظرات كليف المراقبة. سواء أكان جالساً في خارج المطعم أم لا!

نظرت إليه سابينا مؤنبة: «أنا واثقة من أنني أستطيع التصرف دون كليف لأمسية واحدة».

ونظرت إلى ساعة معصمها: «أنا آسفة لأننا لم نحقق الكثير هذا الصباح برايس. وأخشى أنني مضطرة للذهاب الآن».

اشتدت حاجتها الملحة ليغادر الآن: «وإلا فسأتأخر عن موعد الغداء».

ـ وهذا سوف يربك أمك. ولا نريد حتماً حصول هذا.. أليس كذلك؟

لكن، في الواقع، يجب ألا يتذمر. ووبّخ نفسه وهو يلتقط أغراضه ويتحضر للمغادرة. لقد حقق هذا الصباح أكثر بكثير مما كان يتوقع.

لقد أخبرته سابينا المزيد عن عائلتها أكثر مما ظن أنها ستفعل. عن والديها المسنين، عن أمها المتزمتة التي تعيش الآن في اسكتلندة.. في أي جزء منها؟ لم يستطع سوى أن يتساءل عن علاقة عائلتها باسكتلندة.. قربها من والدها، وموته منذ خمس سنوات.

أجل.. لقد عرف هذا عنها اليوم، وكان أكثر بكثير مما توقع. لكن ما يريد حقاً معرفته، هو لما كدّرتها هذه الرسالة هكذا وما هو محتواها؟ لأنه أصبح مقتنعاً أكثر فأكثر أن الرسالة، وليس هو، من سبّب توعك سابينا.. اللعنة، لقد كانت متلهفة جداً للتخلص منه بعد تلقيها الرسالة بحيث أنها قبلت دعوته على العشاء!

ربما سيستطيع عند العشاء هذا المساء.. وبغياب المراقب كليف.. أن يسألها عن الرسالة في المغلف الأخضر الشاحب..؟

قالت السيدة كلارك فيما بعد ذلك اليوم، حين التقطت السماعة في غرفة نومها: «اتصال لك آنسة سابينا.. إنه السيد لاتم، ريتشارد».

ـ شكراً لك سيدة كلارك.

وتسلمت المخابرة متلهفة. كانت تتشوق إلى سماع صوته المألوف.

وحيته بحرارة: «ريتشارد.. كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟ هل هناك تأخير في عودتك إلى هنا غداً؟».

ـ مهلك.. اسألي سؤالاً واحداً.

ومازحها صوت ريتشارد المألوف المطمئن بتسامح: «أنا بخير. وكل شيء على ما يرام من أجل عودتي غداً، لدي اجتماع عمل قريباً، لكنني فكرت لتوي أن أتصل بك أولاً لأعرف كيف كان أسبوعك».

حتى وقت مبكر اليوم، كان رائعاً. كانت مشغولة جداً بحيث لم يكن لديها وقت للتفكير بأن ريتشارد في نيويورك لأربعة أيام. لكن كل هذا تغير هذا الصباح. وهي الآن لا تريد سوى أن يعود!

ردت دونما اكتراث: «رائع.. أسبوع عمل جاهد طبعاً».

سألها ريتشارد باهتمام: «وماذا ستفعلين هذا المساء؟».

حسن جداً.. حتى الآن استحمت، وغسلت شعرها قبل أن تجففه. ووضعت زينتها، وارتدت فستاناً أسود ضيقاً، وهي الآن جالسة هنا في غرفة نومها، تنتظر برايس ماكليستر ليصل ويأخذها إلى العشاء.

لكنها عرفت أنها لن تستطيع أن تقول لريتشارد بكل جرأة إنها ستخرج على العشاء مع برايس.

كانت عازمة على رفض دعوة برايس ماكليستر للعشاء. لكن السيدة كلارك أدخلت لها البريد، ورمت سابينا في تشوش كامل.. بحيث أنها وفي لهفتها لجعل برايس يخرج، قبلت دعوته!

لكن كيف ستقول هذا لريتشارد.. إنها لا تدري..

كشرت مجفلة، وقالت على مضض: «في الواقع سأقابل برايس ماكليستر هذا المساء».

قال ريتشارد برضى: «هذا جيد. كيف تسير الجلسات؟ هل نزل الرجل الكبير من برجه العاجي الآن وأدرك أنك أعظم إنسانة وأن عليه أن يرسمك؟».

ردت بجفاء: «ليس تماماً».

وعرفت في الوقت ذاته أن ريتشارد أساء فهم سبب رؤيتها لبرايس هذا المساء.. وأنه يعتقد أنها تراه من أجل جلسة أخرى.

أخذت نفساً عميقاً: «في الواقع ريتشارد..».

قاطعها باعتذار: «مهلك لحظة سابينا.. لدي مكالمة على الخط الآخر».

انتظرت سابينا بصبر بينما أخذ هو المكالمة الأخرى. لكن كلما طال انتظارها، كلما خانتها شجاعتها. لم تكن تشك في أن ريتشارد لا يعارض لقاءها برايس ماكليستر من أجل جلسة رسم، لكن تناول العشاء مع برايس.. من دون دفتر رسم أو قلم.. أمر مختلف تماماً.

لم تكن سعيدة جداً بهذا الترتيب. لكنها قبلت دعوة العشاء، ولم تشعر بأنها قادرة على الاتصال ببرايس ماكليستر لإلغاء الدعوة.

عاد ريتشارد إلى الخط: «آسف سابينا.. لقد وصل موعد العمل للتو.. ويجب أن أذهب، سأتصل بك فيما بعد هذا المساء لو أتيحت لي الفرصة. اتفقنا؟».

لا . . ماذا لو اتصل ريتشارد وهي لا تزال في الخارج، وقالت له السيدة كلارك إنها خرجت لتناول العشاء مع رجل آخر؟ ومع ذلك، في الوقت عينه، عرفت أن هذا ليس الوقت المناسب للكلام مع ريتشارد عن المسألة . .

عوضاً عن ذلك قالت له: «كنت أفكر في أن أنام باكراً . . وسألقاك غداً في المطار».

حيث ستشرح له قطعاً سبب رؤيتها برايس هذا المساء.

أكد لها ريتشارد بخفة: «لا داعي أن تأتي كل تلك المسافة إلى «هيثرو» أرسلي كليف مع السيارة فقط».

بالنسبة لسابينا، هناك داعي. أضف إلى هذا، الخلوة في مؤخرة السيارة ستعطيها الفرصة للحديث معه خلال الرحلة إلى المنزل.

قالت تؤكد له: «لست منشغلة غداً. وسأحب الرحلة».

رد ريتشارد شارداً: «حسناً . . عظيم. سأراك هناك إذن».

رائع! إنها لن تتناول العشاء مع رجل تفضل ألا تقضي وقتاً معه لوحدها فحسب . . بل كذبت لتوها على خطيبها!

لِمَ يجعلها برايس ماكليستر متوترة هكذا ومضطرة لفعل ما لا تريد؟

تَنظر تلك العينان الخضراوان مباشرة إلى روحها، هذا هو الجواب عن هذا السؤال.

في الواقع، لا يفوت تلك العينان الخادعتان الناعستان الخضراوان شيئاً، كانت متأكدة تماماً من هذا. هو يعرف جيداً مدى كرهها للجلوس كي يرسمها. فقد نتج عن توترها في جلسة هذا الصباح أنها تكلمت كثيراً جداً . . لا تزال غير قادرة على أن تصدق أنها تكلمت معه عن عائلتها بالطريقة التي تكلمت فيها هذا الصباح.

كانت كذلك واثقة من أن برايس قد لاحظ تماماً هذا الصباح ردة فعلها لدى وصول البريد الذي يحتوي المغلف الأخضر . .

لقد مرت ثلاثة أسابيع منذ تلقت آخر رسالة، وهي أطول مدة، مما

أعطاها إحساساً زائفاً بالأمان، كما أدركت الآن. كانت ردة فعلها على تلك الرسالة هذا الصباح، أقوى بكثير، بسبب طول المدة.

نتيجة لهذا، اضطربت سابينا كثيراً حين قابلت أمها للغداء، بحيث كادت لا تنتبه إلى ما هو مختلف في هذه الزيارة لأمها إلى لندن.

سألت أمها بخفة وهما تأكلان السلطة وتشربان شراباً غازياً: «ألم تحددي موعد زفافك مع ريتشارد بعد؟».

ردت من دون التزام: «ليس بعد».

تجهل أمها أيضاً ترتيب الخطوبة العملي . . وأضافت كي تُبعد الحدة عن كلماتها: «لسنا مستعجلين».

راقبت أمها بحذر وهي تعيد كأس شرابها الغازي إلى الطاولة بعد أن ارتشفت منه رشفة صغيرة.

كان كل شيء في أمها منظماً وحريصاً . . من شعرها الأشقر حتى حذائها الأسود العصري العالي الكعبين، الذي يكمل البذلة السوداء والبلوزة العاجية التي ترتديها.

تحب سابينا أمها كثيراً. ولطالما أعجبت بها . . لكنها لم تتمكن أبداً من التكلم معها! وهذا أحد الأسباب لكون هذه الغداءات محنة عليها، بل عليهما، وكانت سابينا متأكدة من هذا.

تابعت الأم بهدوء: «لقد سألت فقط لأنني أفكر بأخذ إجازة قصيرة في الخريف. ولا أحب أن يصادف هذا مع موعد زواجك».

هزت سابينا رأسها موافقة: «سيكون هذا تغييراً محبباً».

وبدا لها أن أمها تعيش حياة خالية من الأحداث في منزلها الريفي في اسكتلندة . . وأضافت باهتمام: «هل ستذهبين إلى مكان رائع؟».

ـ لم أقرر بعد.

وابتسمت باختصار: «أنا مسافرة مع صديق».

وبدا عليها الارتباك، ولم تعد نظرتها تقابل نظرة سابينا.

ـ فكرنا أن زيارة باريس لبضعة أيام ستكون مسلية.

قطبت سابينا وهي تنظر إلى أمها.. تسلية؟ لا ترتبط هذه الكلمة عادة بأمها الوقورة. هناك شيء ما يجري..

سألت بخفة: «وهل أعرف هذا الصديق؟».

وعرفت فجأة من الاحمرار الذي بدأ يتسلل ببطء إلى خدي أمها، أنها لا تعرف من هو.

لأن الصديق هو «رجل»!

لِمَ تشعر سابينا بمثل هذه الصدمة لمعرفتها هذه الأخبار؟ لقد مات والدها منذ خمس سنوات، وأمها في أواسط الستينات ولا تزال امرأة جذابة جداً.. جسم صغير ونحيل، شعر أشقر بطول الكتفين مسرّح بأسلوب مميز دائماً، ووجه جميل بالكاد تظهر فيه تجاعيد. لكن فكرة سفر أمها في إجازة قصيرة إلى باريس الرومانسية، مع رجل غير والدها، شوشتها.

على أية حال، قررت الآن وهي تتفحص لآخر مرة مظهرها في المرآة قبل النزول إلى الطابق الأسفل لانتظار برايس ماكليستر، أن هذا لم يكن يوماً جيداً، وكانت تشك كثيراً في أن يحسن العشاء مع برايس الأمور!

***

٤ ـ جريء... وقح ولكن..

لم يكن برايس بحاجة إلى قارىء أفكار ليعرف أن سابينا تتمنى لو تقضي أمسيتها بأية طريقة أخرى بدلاً من أن تقضيها معه!

لم تكن سابينا مسترخية حين وصلا إلى المطعم الهادىء الأنيق. وجب على برايس الآن أن يجعلها تسترخي. إنها ليست متشوقة لرؤيته هذا المساء، لكن شعوره مختلف تماماً حول قضاءه الأمسية برفقتها!

تثير سابينا فضوله. جمالها أخاذ، وقد زاده ارتدائها فستاناً أسود بسيطاً. فحين دخلا المطعم وتوجها إلى طاولتهما استدار جميع من في المطعم ليحدق بها إعجاباً. لكن المرأة المختبئة خلف ذلك الجمال هي التي تثير اهتمام برايس.

قرر قبل الخروج هذا المساء، ألا يتطرق إلى موضوع ردة فعلها لدى تلقيها المغلف الأخضر.. لا يعني هذا أنه ينوي أن ينسى الموضوع، لكنه يعلم أنه لو ضغط على سابينا لتشرح له فهو لن يراها مرة أخرى.

سأل بخفة وهما يراجعان لائحة الطعام: «كيف كان الغداء مع والدتك؟».

ردت بابتهاج: «عظيم».

لكن برايس لم ينخدع بهذه الواجهة المتباعدة ورأى الظل الذي غشى عينيها عند ذكر والدتها.

ونظر إلى سابينا مفكراً: «هل أنت واثقة؟».

www.elromancia.com

قطبت في وجهه: «بالطبع أنا..».

وصمتت تتنهد.. ثم أكملت بخشونة: «لا.. ليس حقاً. لم يكن هذا مثل الغداءات السابقة لنا معاً، أبداً».

وضع برايس لائحة الطعام من يده، وقد عرف ماذا سيختار من طعام، فهو قد جاء إلى هذا المطعم مرات عدة من قبل، وسأل: «من أية ناحية؟».

هزت كتفيها: «يبدو أن لأمي «صديق».. حسن جداً، ليس «صديقاً» بالضبط..».

وكشرت لهذا الوصف: «لكن ثمة رجل تنوي السفر معه في عطلة إلى باريس في الخريف».

- أوليس هذا جيداً؟

عرف برايس مسبقاً أن هذا الأمر غير جيد في نظر سابينا. واستطاع سماع التوتر المخبأ في صوتها، وأكمل: «إنها لوحدها منذ خمس سنوات.. ولا بد أنها في أواسط الستين فقط..؟».

كانت سابينا في أواسط العشرين، وقالت إن أمها كانت في الواحدة والأربعين حين أنجبتها..

أكدت له سابينا: «في السادسة والستين».

وكشرت بخجل: «أنا أنانية.. أليس كذلك؟ لكنني لم أفكر يوماً بأمي هكذا».

وهزت رأسها.

قال دون تفكير: «واضح أن هذا الرجل فكر فيها هكذا».

ثم تمنى لو لم يقل شيئاً حين رأى النظرة المرتبكة على وجهها.

واعتذر على الفور: «أنا آسف سابينا.. الأمر فقط..».

قاطعته ساخرة من نفسها: «أعرف.. أعرف».

وأخذت رشفة من شرابها: «لست أدري لما أزعج نفسي بإخبارك بهذا».

وضحكت بإحراج: «أنا واثقة من أنه لا يمكن أن تهتم أبداً».

ها هي الآن مخطئة تماماً.. وهو يعرف هذا. كل شيء في هذه المرأة يهمه! لا يستطيع أن يتذكر أنه اهتم بامرأة بهذا القدر منذ سنوات..

أكد لها بنعومة: «لكنني مهتم».

هزت رأسها: «أرجوك، إنسى أنني ذكرت لك هذا.. كنت سخيفة».

وعرف برايس أنها منزعجة من نفسها لأنها تحدثت إليه في هذا الموضوع!

أكمل بخفة وإصرار: «ما الذي تجدينه غريباً في الموقف؟ أن أمك قد وجدت رجلاً تستمتع بقضاء وقت معه؟ أم أن المشكلة هي أنه ليس والدك؟».

وعرف مسبقاً أن الرد هو الأخير.

تمتمت سابينا باحتقار ذاتي: «أمر أحمق.. أليس كذلك؟».

أكد لها فوراً: «أبداً.. لا أظنك قابلت ابن خالتي لوغان وزوجته دارسي..؟».

هزت سابينا رأسها نفياً، وتعبيرها المحتار يُظهر أن لا فكرة لديها إلى أين قد يقود هذا الحديث: «أعتقد أنهما كانا في حفلة هاملتون أول ليلة التقينا فيها.. لكنني لم أتعرف إليهما.. لا».

- حسن جداً.. لقد وقع الاثنان بحب بعضهما بينما كانا يحاولان منع علاقة بين والد دارسي ووالدة لوغان.

استطاع بكل تأكيد أن يجتذب اهتمامها.

وسألت بفضول: «ماذا حدث للأب والأم؟».

أدرك متأخراً أن هذه المقارنة لم تكن فكرة جيدة!

- تزوجا قبل شهر من زواج لوغان ودارسي.

وأدرك على مضض أن هذا كان آخر شيء تريد سابينا سماعه.

لكن برايس استطاع أن يرى أن أنكارها لا تزال مشوشة وهما يطلبان الطعام.. إنها حقاً لا تلتزم بنظام غذائي خاص للحفاظ على رشاقة جسمها.

قالت تعتذر حين رأته يراقبها متسامحاً ما إن تركهما الساقي: «على الأرجح أنني سآخذ شيئاً خفيفاً بالشوكولا كتحلية».

لم يكن برايس يتذمر، بعد سنوات من العشاء مع نساء يخترن أطباقاً خفيفة. كان تغييراً مرحباً به أن يخرج مع امرأة تستمتع بالطعام.

دعاها بحرارة: «تفضلي.. أنت من الزبائن الذين يتمتع دانييل بأن يطهو لهم»

- وهل تعرف رئيس الطباخين هنا؟

وأخذت رشفة من شرابها.

كشر برايس بخشونة بعد أن عرف أنه فعلها مجدداً: «هل تصدقين إذا قلت لك إن كبير الطباخين هنا «الشيف سايمون» هو والد دارسي؟»

ضحكت سابينا بصوت أجش: «أصدق».

وابتسمت: «إنه متزوج من الممثلة مارغريت فرايزر أليس كذلك؟».

- إنها خالتي ميغ.. وهما سعيدان جداً معاً.

ضحكت سابينا مرة أخرى، وبدأت تسترخي: «قلت لك إني أصدقك! أتساءل من هو صديق أمي؟».

واضح أنها بدأت ببطء تتقبّل فكرة تورط أمها مع رجل.

سأل بخفة: «لِمَ لا تسألينها عنه في المرة القادمة حين تكلمينها؟ على الأرجح ستقدر لك هذا».

اعترفت دون التزام: «ربما.. قل لي متى وأين تنوي إقامة معرضك التالي؟».

وغيرت الموضوع فجأة، واضح أنها قررت أنها قالت له ما يكفي عن حياتها الخاصة لأمسية واحدة.

حسن جداً، ليس في نظر برايس.. ما زال هناك عشرات الأشياء يريد معرفتها عن سابينا سميث! حتى ولو تقبل أن بعضاً منها يجب أن ينتظر..

أضافت ببرود: «أخبرني ريتشارد أنه حضر المعرض الذي أقمته منذ

سنتين.. وقال إن المعرض كان ناجحاً جداً».

ولم يشك برايس بأن ريتشارد قال هذا، وعرف أن سابينا ذكرت ريتشارد في الواقع لتذكّره.. في حال نسي.. أن في حياتها خطيباً.

كأنما يستطيع أن ينسى وتلك الحجرة الكريمة العظيمة تلمع في يدها. لكن هذا لا يعني أنه لن يحبّ أن ينسى كل شيء عن ريتشارد لاتم..

لم تكن هذه الأمسية تسير بشكل سيء. هذا ما قررته سابينا بارتياح داخلي.. برايس ماكليستر إنسان يسهل الحديث معه.

قالت وقد وصلت الأطباق الأولى من الوجبة: «تبدو الأطباق شهية».

هز رأسه بتسامح: «لا شك عندي أن طعمها لذيذ كمنظرها.. هل..؟ أوه لا..!».

وتأوه بنفاد صبر.

نظرت سابينا إليه بفضول، لتجد أنه ينظر إلى المدخل نحو شخصين دخلا لتوهما إلى المطعم. تعرفت سابينا إليهما بشكل غامض، وعرفت أن المرأة هي كلوي فوكس، مصممة الأزياء التي التقتها مرتين. لكن لم يكن لديها فكرة عن هوية الرجل الذي يرافقها. ولو أنه يبدو شبيهاً ببرايس.. طويل جداً، أسمر، مع وسامة متعجرفة..

قال برايس بتوتر ظاهر: «إنه ابن خالتي فيرغوس وزوجته كلوي».

عدم رضاه لوصول الزوجين كان واضحاً، على الأقل لسابينا. وتمنت ألا يرى الزوجان عدم الرضى ذاك مع أنهما كانا يسيران نحوهما بعد أن شاهدا برايس.

وقف برايس أدباً.. وحياهما بتوتر: «فيرغوس، كلوي».

وتحرك ليقبل كلوي على خدها بخفة، وأضاف بتردد ظاهر: «هل لي أن أقدم لكما سابينا؟».

- بكل تأكيد. ولو أنني واثق من أننا كنا سنعرفها دون أن تقدمها لنا.

وصافح فيرغوس يد سابينا بحرارة قبل أن يستدير إلى ابن خالته:

«أرجو ألا نكون قد قاطعناكما؟».

والتقت عيناه البنيتان بلون الشوكولا بعيني برايس المتجمدتين الخضراوين.

وجدت سابينا أنها أحبت المحبة الممازحة التي أظهرها فيرغوس نحو ابن خالته. وهذا ما جعل برايس ماكليستر يبدو أقل عجرفة وثقة بالنفس..

دعت الزوجين بنعومة: «هل تهتمان بالانضمام إلينا؟».

أبقت أساريرها جامدة وهي ترى نظرة التحذير المتوترة الواضحة التي أرسلها برايس بحدة نحو ابن خالته.

سارعت كلوي ترد عليها: «أنا واثقة من أنك وبرايس تفضلان أن تكونا لوحدكما».

لكن حاجبيها الأسودين ارتفعا فوق عينين زرقاوين متسائلتين وهي تنظر إلى برايس.

ردت سابينا بنعومة: «بالطبع لا نفضل هذا.. سيكون الأمر أكثر مرحاً لو كنا أربعة.. لقد تلطف برايس بدعوتي للعشاء في غياب خطيبي».

أرجع فيرغوس كرسياً لزوجته لتجلس قبل أن يجلس هو ويقول: «أوه.. برايس معروف بلطفه».

قالت كلوي بخفة فيما الساقي يحضّر مكانين على الطاولة: «أرجوكما.. لا تدعا الطعام يبرد.. بإمكاني وفيرغوس النظر إلى لائحة الطعام بينما تأكلان».

بالرغم من أن برايس لم يتحدث كثيراً وهما يتناولان الطعام، فقد وجدت سابينا أنها تستمتع بوقتها. كان فيرغوس وكلوي محدثين لبقين، ومرحين. وحبهما لبعضهما واضح في كل نظرة يتبادلانها. وحملقة برايس بهما طيلة الساعتين التاليتين لم تزعجهما أبداً.

قالت كلوي والأربعة يشربون القهوة: «أعتقد أننا سنكون أقرباء من بعيد».

رأت سابينا نظرة الدهشة الحادة التي أطلقها برايس نحو زوجة ابن خالته. وسألت مقطبة: «عفواً..؟».

ابتسمت كلوي: «أختي الكبرى متزوجة من ابن أخ خطيبك، وأنا واثقة من أنكما بعد أن تتزوجا، ستربطنا علاقة عائلية.. ولو أنني لن أستطيع فهمها في حياتي!».

وضحكت.

لم تستطع سابينا كذلك أن تفهم. خاصة وأنه لن يكون هناك زواج! لكن ما صدمها أكثر كان أنها لم تفكر في خطيبها أبداً طيلة ساعتين..

قالت تصرف النظر بغموض: «يبدو هذا معقداً».

واستدارت إلى برايس: «أنا آسفة لإنهاء الأمسية.. لكن أعتقد أن الوقت حان لأعود إلى المنزل».

اشتد ضغطه على فمه سخطاً. واضح أن مشاركة الأمسية مع فيرغوس وكلوي لم تعجبه. لكنه كره أكثر فكرة إنهائها الأمسية.

هذا سبب آخر لإنهائها!

لم تكن حكيمة في خروجها معه هذا المساء. وعرفت أنه ليس رجلاً يسهل قضاء وقت معه.

قالت كلوي لسابينا بحرارة وهي تتحضر مع فيرغوس للمغادرة: «ربما ستتاح لنا فرصة العمل معاً في وقت قريب».

ردت سابينا دون التزام: «ربما».

دفتر مواعيدها ممتلىء تماماً للستة أشهر القادمة.. حمداً لله! تعرف أنها كلما كانت علاقتها بهذه العائلة الديناميكية أقل، كلما كان هذا أفضل لها.

أضافت كلوي بنعومة: «كنت آسفة جداً لأننا لم نعمل معاً في العام الفائت. لكن، أعتقد أنك كنت مريضة حينذاك؟».

نظرت سابينا إلى المرأة الأخرى بحدة.. ماذا؟

أوضحت كلوي: «هارپر ماينو في شهر تشرين الثاني. كنت أعرض

مجموعة من فساتين السهرة نهاية ذلك الأسبوع».

حدقت سابينا إلى المرأة، وأخذت تتذكر بوضوح.. ومتأخرة جداً.. أنها كانت مكلفة بارتداء اثنين من تلك الفساتين في ذلك العرض بالذات.

تابعت كلوي باهتمام: «أرجو أن الأمر لم يكن خطيراً؟».

لم تكن سابينا تجيد الأحاديث الجانبية. ووجدت نفسها دون إجابة.

هذا كثير.. أولاً الرسالة في وقت مبكر اليوم. والآن ما يذكرها بغيابها عن عرض الأزياء في شهر تشرين الثاني الماضي.. المسألة فقط..

قطب برايس في وجه المرأتين: «وما هو ما لم يكن خطيراً؟».

استدارت كلوي تبتسم له: «كنت أذكّر سابينا أننا كنا سنعمل معاً السنة الماضية.. لكنها لم تكن في صحة جيدة».

نظر برايس إلى سابينا بعينين ضيقتين: «وما كان خطبك؟».

جريء.. وقح، ولا جواب له!

تمتمت كلوي بمحبة: «حقاً برايس.. لا يمكنك المطالبة بمعرفة شيء عن مرض شخص بهذه الطريقة!».

زاد عبوسه: «ولمَ لا أستطيع؟.. ذكرت أن سابينا كانت مريضة في السنة الماضية. وأريد أن أعرف مما كانت تشكو».

ورفع كتفيه، كأنه لا يستطيع أن يرى ما المشكلة.

نظرت كلوي إلى برايس موبخة. واضح أنها ندمت على ذكر الموضوع، وقالت بخفة: «حقاً برايس، نحن النساء لدينا أسرارنا».

قالت سابينا ببرود: «لم يكن ذلك مهماً حقاً».

آخر ما تريده هو أن يظن برايس أن هناك شيء غامض حول غيابها عن العرض وقالت بصدق: «كنت أعاني من انفلونزا فقط».

والتفتت إلى الزوجين: «كان لقائي بكما أمراً جميلاً».

فقد كانت تفضل إمضاء السهرة معهما أكثر بكثير من قضاء الأمسية بمفردها مع برايس.

إنها الآن تريد أن تخرج من هنا وتعود إلى المنزل حيث تشعر بالأمان، بعيداً عن برايس ماكليستر.

رد عليها فيرغوس بنعومة: «ربما نعيد الكرة في وقت قريب؟».

ـ أشك في هذا، سيصل خطيبي من نيويورك غداً.

كانت ابتسامتها معتذرة بأدب: «وكما سبق وقلت لكما، أشفق برايس عليّ فدعاني للعشاء هذا المساء».

قال برايس وقد جلسا في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة في طريقهما إلى المنزل الذي تتشاركه وريتشارد: «لم يكن ما قلته صحيحاً.. دعوتك للعشاء لم يكن لها علاقة بالشفقة.. فقد أردت قضاء الأمسية معك».

فجأة وجدت سابينا أن جلوسها داخل السيارة يثير خوفها، واختنقت أنفاسها في حلقها. فقرب برايس منها على المقعد الجلدي، وساقه تلامس ساقها بخفة، وذراعه ممدودة بعفوية فوق المقعد خلف كتفيها، لم تساعدها أبداً على التخفيف من الموقف.

كان قريباً جداً منها. رجل قوي جداً، جذاب إلى أقصى الحدود..

استدارت نحوه وشعرت أنها ملزمة بقول شيء.. أي شيء: «برايس..».

تمتم بخشونة: «سابينا!».

وانحنى رأسه ليعانقها.

لا يجب أن يحدث هذا! إنها مخطوبة لريتشارد. ربما تكون الخطبة ترتيباً عملياً.. مجرد «تفاهم»! لكنها مدينة له بالإخلاص.. بعرفان الجميل.

مع استمرار التصاق برايس بها، كان جسمها يتخدر وكأنها طير طار عالياً والريح تمر تحت جناحيه.. توقفت كل الأصوات، ما عدا صوت برايس. وبقي الإحساس بعناقه وحده المهم.

لم تعد قادرة على الابتعاد عنه حتى ولو حاولت. لكنها لم تحاول.. كانت البهجة التي لم تعرف بوجودها تعربد في جسمها. وتحركت ذراعيها

حول كتفيه وهي تعانقه.

ـ الحساب ثمانية جنيهات ونصف، سيدي.

أحست سابينا بكوب من الماء البارد يرمى فوقها، وصُدمت حين أدركت ما فعلت لتوها.. فبدلاً من أن تصدّ برايس بكل برودة، ردت له عناقه بشوق مماثل!

تراجعت عنه، واتسعت عيناها الزرقاوان في ظلمة السيارة.

نظر إليها برايس وارتسم على وجهه تعبير غير مفهوم. عيناه متباعدتان لا قعر لهما.. وحده الاحمرار الفاضح على قساوة خديه، أظهر أنهما ضاعا بين ذراعي بعضهما البعض لدقائق.

استدار سائق سيارة الأجرة ليقول معتذراً لسابينا: «آسف للمقاطعة.. لكننا نقف أمام المنزل منذ خمس دقائق».

أمام منزل ريتشارد. منزل خطيبها، المنزل الذي تشاركه سابينا إياه.

أخذت نفساً عميقاً مهدئاً، وقالت للسائق بنعومة: «لا بأس في هذا».

واستدارت لتفتح الباب: «لا.. برايس.. أرجوك لا تزعج نفسك بالنزول».

كان صوتها مضطرباً وهي تتكلم، ولم تتمكن من النظر إليه.

وكان يمكن لها أن تكلم الباب، لأن برايس لم يكن منتبهاً لها!

ما إن خرجت من السيارة حتى وقف إلى جانبها، وقد خرج من الباب الآخر.

ـ سابينا..

قاطعته بحزم يفوق ما تشعر به: «أرجوك.. لا تقل شيئاً برايس».

ارتفع رأسها بكبرياء في الظلمة وهي تجبر نفسها على أن تلتقي نظرته الضيقة، وأضافت: «لقد تمتعت كثيراً بلقاء فيرغوس وكلوي هذا المساء.. وشكراً لك على العشاء».

كان صوتها مهذباً كثيراً.

قاطعها بخشونة: «لا داعي لأن تقولي لي إن هذا لن يحدث مرة أخرى».

قالت بصوت فولاذي: «لا شيء مما جرى هذه الأمسية سيتكرر.. ليلة سعيدة».

واستدارت على عقبيها لتسير مبتعدة، وتتركه يعود إلى سيارة الأجرة. طالما تهرب من وجوده الغامر، فلن تهتم بما يفعل!

استندت سابينا بضعف إلى الباب الأمامي المصنوع من خشب السنديان الصلب ما إن أصبحت داخل المنزل بأمان.

ما الذي فعلته لتوها؟ ما الذي فعله كلاهما للتو؟

وكيف ستفسر لريتشارد، دون أن تقول له الحقيقة الكاملة وتعرّض اتفاقهما للخطر، أنها لن تجلس بعد الآن أمام برايس ماكليستر ليرسمها؟

***

قطبت السيدة پوتر وهي تزيل طبق الطعام الذي لم يمسه برايس: «ألم يعجبك العشاء سيد برايس؟».

رد برايس بحدة: «العشاء لا بأس به.. لكنني لست جائعاً».

كان أكثر غضباً من أن يجوع، كان غاضباً من سابينا.. من ريتشارد لاتم.. ومن نفسه. كان غاضباً جداً من نفسه.

مرت ثلاثة أيام على عشائه مع سابينا.. ثلاثة أيام طويلة موحشة.

غريب.. في الواقع، كانت العزلة بالنسبة له شعوراً يرحب به، يستمتع ويتلذذ به. لكن كل هذا تغير منذ ثلاثة أيام، منذ أن عانق سابينا.

خالجه شعور رائع وهو يضمها بين ذراعيه، لقد ردت له العناق بحرارة مماثلة، وهذا شيء لا يزال غير قادر على تحديده. شيء لا يريد أن يضع له اسماً. كل ما عرفه أنه الآن يدرك أن رفقة نفسه هي آخر ما يريد.

لأنه حين يكون وحيداً، كل ما كان يستطيع التفكير به، هو سابينا. ماذا تفعل؟ مع من هي؟ هل فكرت به ولو لمرة خلال الأيام الثلاثة الماضية؟

اشتد ضغطه على فمه سخطاً وهو يعترف أنه حتى ولو فكرت به سابينا، فلن يكون تفكيرها مادحاً له. كيف يمكنها هذا وقد أساء إلى الثقة التي وضعتها فيه بتخطيه الحدود بينهما؟

يا الله كم يكره نفسه.. فكيف يتوقع منها ألا تكرهه؟

كانت لحظة جنون مطبق من جهته. حاجة بسيطة، ليضمها بين ذراعيه.. والآن قد لا يراها مرة أخرى، وهو واثق أنها لن توافق على الجلوس ليرسمها.

ولأن ريتشارد لاتم لم يظهر بباب داره، بدا أنها لم تقل لريتشارد إن برايس عانقها..

كيف ستشرح لريتشارد لاتم نفورها الكامل لمجرد أن تكون في الغرفة ذاتها مع برايس؟ وربما لن تتمكن من هذا.. ربما..

يا للسماء.. عليه أن يخرج من هنا.. أن يفعل شيئاً.. أي شيء! وبقيت أفكاره تدور وتدور في دوائر، وتعود دائماً إلى النقطة ذاتها. يحتاج لرؤية سابينا، ويعرف أنه غير قادر على هذا.

دخلت السيدة پوتر الغرفة بعد أن قرعت الباب. وقالت بحرارة: «الآنسة سميث هنا لتراك سيد برايس».

الآنسة سميث..؟ سابينا! هنا لتراه..؟

قطبت السيدة پوتر بحيرة، وسألت بارتياب: «هل أطلب منها الدخول؟».

ـ أجل! أعني.. لا.. أوه.. يا للسماء.

ومرر يده في شعره الأسود الكثيف.

أصبح شعره أشعث من جراء مرور أصابعه المهتاجة باستمرار فيه طوال اليوم، ولم يكن قد حلق ذقنه منذ يومين كذلك.. وأدرك وهو ينظر إلى ملابسه، أنه عاد ليرتديها هي ذاتها منذ الأمس. في الواقع، وكما قرر برايس وهو ينظر إلى نفسه بقرف، إنه يبدو في فوضى ودون ترتيب!

لكن، مع وجود سابينا تنتظر في الردهة، بالكاد يستطيع الصعود إلى الطابق الأعلى، ويستحم، ويحلق، ويغير ملابسه قبل دعوتها للدخول.

قال متثاقلاً: «أجل، أرجوك.. أطلبي منها الدخول، هل هي وحدها سيدة پوتر؟».

وقطب متسائلاً عما إذا كان ريتشارد لاتم معها.

ردت سابينا ببرود على سؤاله: «وحدها تماماً».

بدت رائعة!

بدا برايس في فوضى غير مرتبة، بينما تبدو سابينا جميلة مشرقة، ترتدي فستاناً ذهبياً لماعاً، لونه كشعرها الطويل المنسدل شلالاً على ظهرها وفوق كتفيها. عيناها الزرقاوان مضيئتان، شفتاها مدهونتان بالأحمر الشهي، أظافرها ملونة بالأحمر ذاته، ساقاها طويلتان ناعمتان في صندال ذهبي. في نظر برايس، لم تبدُ يوماً أجمل.

قال لمدبرة منزله بخشونة: «شكراً لك سيدة پوتر».

عرضت السيدة پوتر بخفة: «هل تريد أن آتيكما بشيء؟ قهوة؟ شاي؟ أو عصير ربما؟».

ابتسمت سابينا للمرأة الأخرى: «هذا لطف شديد منك.. لكنني لن أبقى طويلاً.. لقد مررت للزيارة وأنا في طريقي إلى مكان آخر».

كان برايس واثقاً من أن الجملة الأخيرة أضافتها ليسمعها هو.. دون وجود حاجة لذكرها أبداً. لم يكن يتوقع حضور سابينا. وهو بالتأكيد لم يكن يريد خداع نفسه بالظن أنها ترتدي هكذا لمجرد أن تأتي لتراه!

سألها ما إن أقفل الباب خلف السيدة پوتر: «ماذا تريدين؟».

نظرت إليه سابينا ببرود، وقالت بهدوء: «أنت حقاً الرجل الأكثر فظاظة الذي عرفته».

رفع حاجبين ساخرين: «على الأقل، أنا مثابر».

ردت دون اكتراث: «صحيح.. لقد جئت..».

قاطعها بخشونة: «سبق وقلت هذا».

أكملت بصوت أجش: «لأنني عرفت أن ريتشارد ينوي الاتصال بك غداً ليكلفك باللوحة.. وأريدك أن تقول له إنك لن تستطيع رسمها».

نظر برايس إليها ساخراً: «ولمَ أفعل هذا؟».

بقيت نظرة سابينا ثابتة دون أن ترمش: «أنا واثقة أنني لست مضطرة لإطلاعك على السبب».

لا.. ليست مضطرة.. ولا مجال للشرح. فبعد ثلاثة أيام من العذاب، لن يستطيع تركها تفلت بسهولة. أضف إلى هذا، فإن قناع عدم الاكتراث المهذب الذي تُظهره يثيره كثيراً!

قال متحدياً: «أنت تشيرين إلى أننا تعانقنا ذلك المساء؟».

لوّن احمرار غاضب خديها، وردت بحدة: «أنت عانقتني..».

تشدق بصوت كله ملل: «في البداية فقط.. وأذكر أنك استجبت لي».

ورفع حاجبيه تحدياً.

أخذت سابينا نفساً غاضباً: «أنت لست سيداً مهذباً!».

أوه.. بلى.. إنه سيد مهذب.. فلو لحق بديته غير المهذبة الآن، لانتهى به الأمر إلى عناقها من جديد.. فقد بدت رائعة حتى وهي غاضبة!

التوى فمه ساخراً: «وأعتقد أن لاتم سيد مهذب؟».

تصلبت.. ولمعت عيناها الزرقاوان ببرودة: «ماذا تقصد بالضبط من هذه الملاحظة؟».

هز برايس كتفيه: «أفترض أن لاتم ينام في إحدى غرف النوم في ذلك المنزل الكبير الذي تتشاركانه، وأنت تنامين كالعذراوات في غرفة أخرى».

وإذا كان قد اعتقد من قبل أنها متباعدة باردة، فقد أصبحت الآن «سيدة الثلج».. كل إنش منها منعزل وراء حاجز جليدي، عرف برايس أن لا أمل له في اختراقه.

ـ لا أعتقد أن هذا أمر يخصّك سيد ماكليستر.

ونطقت باسمه بازدراء مكملة: «جئت إلى هنا هذا المساء على أمل أن أتوسل طيبتك التي يبدو أنك تفتقر إليها..».

قاطعها مخمناً: «لاتم لا يعرف شيئاً عن تلك الأمسية».

كان واثقاً أنه مصيب. لكنه يحتاج إلى أن يتأكد.

احمرت مجدداً: «ريتشارد يعرف أنني قابلتك ذلك المساء..».

قاطعها بخشونة: «لم أكن أعني هذا.. وتعرفين!».

ـ أخبرني برايس.. ألا زلت قادراً على السير؟

نظر إلى ساقيه ثم أجاب: «هذا واضح».

ـ إذن، أعتقد أنك تستطيع أن تخمن أنني لم أخبر ريتشارد عن.. تماديك في ذلك المساء.

ابتسم برايس دون مرح: «ما تعنين قوله حقاً، إن زوج المستقبل مجرد قاطع طريق!».

نظرت إليه سابينا بازدراء: «أنت..».

غيّر برايس الموضوع فجأة: «كيف حال أمك؟».

فقد أحس أن سابينا على وشك الذهاب، ولم يردها أن تذهب.

مجيئها إلى هنا لم يكن متوقعاً، فبعد تلك الأمسية، كان برايس متأكداً من أن سابينا سوف تحرص على ألا يراها وحدها مرة أخرى. إلا أنها جاءت، وهذا دليل واضح على عدم رغبتها بأن يعرف ريتشارد لاتم شيئاً عن دعوة برايس على العشاء، وعن أمسيتهما التي ختماها بين ذراعي بعضهما كذلك!

هذا دليل على مدى حبها لريتشارد..؟

بدت الآن مرتبكة للتغيير المفاجيء في الموضوع.

ـ أنا لم أتكلم مع أمي منذ أن تناولنا الغداء معاً ذلك اليوم.

وبخها بنعومة: «تؤجلين لحظة الشر؟ هل هذا إنصاف بحق أمك؟ على أية حال، من القليل الذي أخبرتني به، أشك في أنك كنت كريمة معها ذلك

اليوم».

احمر خداها مجدداً: «أنا لا أعتقد حقاً أن هذا من شأنك برايس..».

تمتم بصوت منخفض: «جبانة».

اتسعت عيناها سخطاً: «لا شأن لك في هذا.. لكنني كنت أنوي أن أكلم أمي على طريقتي.. وفي الوقت الذي أختاره».

هز رأسه متجهماً: «وفي هذه الأثناء، يمكنها الجلوس والغليان لوحدها!».

عبست سابينا: «أنت لا تعرف شيئاً عن أمي..».

ـ أعرف أنها تهتم بما يكفي لتقتطع وقتاً وتزعج نفسها بالمجيء إلى لندن لتخبرك عن عطلتها المقترحة إلى باريس، مع رجل صديق.. رغم أنها كانت تعرف تمام المعرفة ردة فعلك.

أصبحت عينا سابينا الآن بركتين زرقاوين تتألمان غير مصدقتين. فقد كان يتعمد مهاجمتها، وتحديها. لكنه لم يستطع منع نفسه.

فمنذ أن وصلت، كان أكثر ما يريده، هو معانقتها مجدداً!

ابتلعت سابينا ريقها بقوة، ونظرت إلى برايس بحيرة. بدا اليوم مختلفاً، ولم يكن السبب أنه لم يحلق ذقنه منذ عدة أيام مما جعل فكه أكثر اسمراراً وأن شعره أشعث وملابسه غير مرتبة، هذه أشياء من السهل تفسيرها لدى فنان من مستواه، يضيع في عمله.

لا.. كان الأمر شيئاً آخر.. لكنها لا تعرف ما هو!

أخيراً تنفست بصوت أجش: «وكيف كانت ردة فعلي بالضبط؟».

هز كتفيه: «لا بأس بك لو عشت مع رجل كبير في السن بما يكفي ليكون والدك. لكن، فليكن الله بعون أمك لو حاولت أن تجد قليلاً من السعادة لنفسها في سنواتها الأخيرة».

هزت رأسها تبتسم دون مرح، غير مسرورة من ملاحظاته، لا سيمّا من الجزء المتعلق بكون ريتشارد مسناً بما يكفي ليكون والدها.

ـ أشك في أن أمي تعتبر أنها وصلت إلى ذلك العمر وهي لا تزال في السادسة والستين!

رد عن عمد: «بالضبط.. ولو كنت مكانك لقلت لها حظاً سعيداً».

كان هناك الكثير من الردود على مثل هذه الملاحظة. فهو ليس في موقف يسمح له بأن يقول كيف يمكن أن يشعر في الظرف عينه، خاصة أنه عاش آمناً مع أبوين طال زواجهما معاً.

لكن سابينا فهمت أخيراً ما يحاول برايس فعله.. وهي لن تمنحه الرضى. لأنه، وكالولد الصغير، يحاول أن يفتعل قتالاً.

هزت رأسها: «أنا لم أحضر إلى هنا لمناقشة أمر أمي معك برايس».

التوى فمه: «لا.. لقد جئت إلى هنا لتطلبي مني أن أقول لخطيبك.. حين يتصل بي! إنني لا أستطيع أن أرسمك».

واستطاعت أن تعرف، من النظرة التي على وجهه، أنه لن يفعل هذا!

قالت تعترف متنهدة: «واضح أنني أضعت وقتي».

ونظرت إلى ساعة اليد الذهبية الرقيقة في معصمها: «أنا حقاً لم يعد لدي وقت لمناقشة هذا معك الآن برايس..».

رد ساخراً بقوة: «لا يجب أن تبقي ريتشارد منتظراً. وأعتقد أن كليف يجلس في الخارج في السيارة ينتظرك كذلك».

ردت بنفاد صبر: «ريتشارد ليس معي هذا المساء. أنا أعمل».

كانت تحضر عشاء خيرياً مع عدة عارضات أخريات هذا المساء، وريتشارد مسافر في عمل مرة أخرى وسيغيب حتى الغد. لكن برايس كان على حق تماماً حول انتظار كليف لها في الخارج. فهو سينتظرها أيضاً ليعيدها إلى المنزل بعد انتهاء الأمسية.

التقطت حقيبة اليد المسائية، وقالت ببرود: «أنا آسفة لعدم تمكننا من التوصل إلى اتفاق مقبول فيما يخص اللوحة برايس. كنت آمل حقاً أن نبقى صديقين».

ضاقت عيناه: «والمعنى؟».

هزت كتفيها النحيلتين، وردت ببطء: «لست متأكدة بعد».

راقبها برايس مفكراً: «لست واثقاً من أن هذا يعجبني».

ابتسمت سابينا باختصار: «لا أهتم أبداً لما تشعر به».

واستدارت لتذهب.

قال بنعومة من خلفها: «هناك شيء أود أن أعرفه سابينا».

وبدا لسابينا أنه قريب جداً منها. دفء أنفاسه يلامس كتفيها. وذكّرها هذا بتلك الدقائق التي أمضتها بين ذراعيه منذ ثلاثة أيام.

ذكّرها؟ لم تستطع بعد أن تبعد الذكرى عن تفكيرها ولو لحظة!

أوه.. لقد خرجت مع عدة رجال قبل أن تلتقي ريتشارد، منذ سنة مضت. لكن، ما من واحد منهم كان جدياً.. وبكل تأكيد ما من واحد منهم سرّع نبضات قلبها وحوّل جسمها إلى سيل من نار. الآن هي مخطوبة لريتشارد.. ومهما كان السبب! فهذا ليس الوقت المناسب لتتصرف كما تصرفت منذ ثلاثة أيام، وخاصة مع برايس ماكليستر!

ولم تستدر لتواجه برايس. وأخذت نفساً مهدئاً.. لتقول ساخرة: «وما هو برايس؟».

ـ أنا فضولي لأعرف ما كان مضمون تلك الرسالة التي تلقيتها في البريد ذلك اليوم وتسببت لك بتكدير واضح.. وأنا أشير إلى الرسالة في المغلف الأخضر.

ولم يكن تأكيده على الرسالة ضرورياً.

غير ضروري بالنسبة لسابينا على الأقل. فقد عرفت ما إن ذكر الرسالة، ما يشير إليه بالضبط!

وجمدت. وكأنما انقلبت إلى حجر، كل عضلة وعرق في جسمها تسمّر مكانه.. وبدا أن أنفاسها علقت في حلقها...

ـ سابينا..؟

أدارها بلطف إليه. وتأوه بقلق بعد أن رأى ردة فعلها الجسدية الواضحة على سؤاله.

ـ سابينا!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وحاولت أن تتكلم. لكن لسانها علق بسقف حلقها. وكان نظرها ضبابياً كذلك. ولم يعد وجه برايس واضحاً لها. ولو أنها رأت فم برايس يتحرك، وعرفت أنه يقول شيئاً لها، إلا أن الصوت المتصاعد في أذنيها منعها من سماعه.

ثم، لم تعد تعرف سوى الظلام.

* * *

٥ ـ عشاء الغرباء

بدت سابينا صغيرة جداً وهي مغمضة العينين. كان القلق البادي في عينيها الزرقاوين العميقتين، مخبئاً الآن خلف جفنين مغمضين، والرموش السوداء الكثيفة على خديها، جعلتها تبدو ضعيفة كطفلة صغيرة.

كان برايس قد نجح في التقاطها قبل أن تقع على السجادة، ورفعها بين ذراعيه قبل أن يضعها بحرص على الصوفا، وشعرها مبعثر على الوسادة خلفها. وبالرغم مما تدّعي، كانت خفيفة كالزغب. ومع متابعة برايس النظر إليها، إلى نحول جسمها، إلى تجويفي خديها العميقين وعنقها، كان متأكداً من أنها فقدت من وزنها في الأيام الماضية. هل هذا بسببه؟ ألأنه عانقها؟ أم أن السبب هو الرسالة التي ذكرها لتوه؟

نظراً لردة فعلها على سؤاله، فالرسالة على الأرجح، تخمين أكثر دقة!

لكن، ممن يمكن أن تكون؟ وما هو مضمون هذه الرسالة الذي جعل سابينا تتأثر هكذا رغم مضي عدة أيام؟

كان بإمكانه أن يسألها هذا. . لكنه يشك كثيراً بأنها سترد عليه!

نظر إليها مجدداً وهو مقطب وقد بدأت تتحرك، وترمش بجفنيها، لتغمضهما مجدداً بعد أن رأته جالساً إلى جانبها ينظر إليها باهتمام.

وقال ساخراً: «هيا الآن. . الأمر ليس سيئاً هكذا!».

ابتسمت مكشرة ثم أخذت تفتح عينيها ثانية. . وابتلعت ريقها بقسوة، وبللت شفتين جافتين: «أيمكنني الحصول على كأس ماء؟».

كان صوتها منخفضاً، ونظرها يتجنب نظره. حذّرها وهو يقف ليذهب

إلى المطبخ: «لا تتحركي في غيابي».

عندما عاد ومعه الماء، كانت سابينا جالسة على الصوفا تملس شعرها المشعث. . فقال لها بحدة: «ألا تفعلين أبداً ما يقال لك؟».

وراقبها وهي تأخذ رشفة ماء وتضع الكأس على طاولة القهوة أمامها، وتجيب: «نادراً. . أنا آسفة لهذا، لا أعرف ما حدث. . ».

قال برايس بخشونة: «أنا أعرف. . يبدو أنك لم تتناولي وجبة لائقة منذ أيام. . لِمَ لم تأكلي؟».

واستطاع أن يعرف من لون خديها أن تخمينه صحيح.

رفعت سابينا نظرها إليه متحدية: «لا أظن أن عادات تناولي الطعام من شأنك. . ».

قاطعها بتجهم: «لقد أغمي عليك في منزلي. . لذا سأجعل من هذا شأني!».

صاح بها حين لم تحاول الرد: «حسن جداً؟».

هزت رأسها مرة أخرى وهي تنظر إلى ساعتها: «علي حقاً أن أذهب. . ».

قال بنعومة: «لقد خرجت بعد إغماءك وطلبت من كليف أن يلغي موعدك لهذا المساء».

شهقت سابينا وقد اتسعت عيناها غير مصدقة: «فعلت ماذا؟».

ـ أنا واثق أنكِ سمعتِ ما قلته. وقلت له كذلك إنك لن تحتاجي إليه بعد هذا المساء.

فتحت سابينا فمها لتتكلم، ثم أقفلته، قبل أن تعود وتفتحه، ثم تقفله مرة أخرى.

لو لم يكن الموقف خطيراً، لوجد برايس المتعجرف ردة فعلها مسلية.

قال: «أين ريتشارد هذا المساء؟».

تمكنت من أن تقول مختنقة: «مسافر».

وتمتم بازدراء: «مرة أخرى؟ وماذا يظنك.. لمجرد العرض يخرجك ليبدي الناس إعجابهم بك متى كان غير مسافر؟».

بدت سابينا متوترة: «أنت سخيف.. ريتشارد رجل مشغول جداً..».

قاطعها ساخطاً: «وأنا كذلك.. لكنني بكل تأكيد لن أتركك لوحدك لتصلي إلى هذه الحالة».

حملقت به ساخطة: «أية حالة؟».

أوه.. إنها تبدو جميلة. وما من شك بهذا، لكنها نحيلة جداً.. وعيناها مثل بركتين سوداوين ضخمتين، وتبرز نجاويف خديها الظلال تحت عينيها.

هز برايس رأسه: «أنت متعبة كجواد مرهق».

سخرت: «شكراً جزيلاً لك!».

ـ لم أقصد المديح بهذا.

ـ ولم أفهمه كمديح.

ـ أنت..

ظهرت السيدة بوتر في الباب لتعلق: «العشاء جاهز سيد برايس».

واضح أنها قرعت الباب لكن لم يسمعها أحد. وهذا ليس عجيباً في الواقع.. لأن برايس وسابينا كانا يصيحان في وجه بعضهما.

وجمدت سابينا. ورددت بصوت منخفض: «العشاء برايس؟».

ولم ينخدع برايس بنعومة صوتها.. فهي لا شك غاضبة لعجرفته في إلغاء خططها للمساء، ولجرأته في إعطاء التعليمات للسيدة بوتر لتقدم العشاء لهما معاً هنا، كبديل. وواضح أنه تمادى كثيراً!

قال دونما اكتراث: «على كلانا أن يأكل سابينا».

ولسبب ما، بدا أنه استعاد شهيته!

لمعت عيناها بالغضب. لكن النظرة السريعة نحو السيدة بوتر، منعتها

من أن تقول له ما تريد قوله حقاً أمام مدبرة المنزل، والحمد لله!

كان برايس يعي تماماً أن تصرفاته السابقة كانت جد متعجرفة. لكنه في الوقت عينه كان قلقاً جداً على سابينا.

استدار نحو مدبرة منزله، وأكد لها: «سندخل غرفة الطعام بعد دقائق سيدة بوتر».

استدارت سابينا نحوه ما إن أصبحا لوحدهما، ووقفت تحملق به باتهام: «كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟».

هز كتفيه: «أعتقد أنك بحاجة إلى الطعام سابينا..».

ردت تقاطعه: «أنا لا أتكلم فقط عن الطعام برايس، كيف تجرؤ على إلغاء خططي للمساء؟ كيف تجرؤ على إرسال كليف؟ عناق واحد لا يعطيك كل هذه الحقوق برايس».

بعد أيام من التوتر، أحس برايس أنه بدأ يسترخي، لأنه عرف الآن أن ذلك العناق عنى شيئاً لها.. وإلا لما ذكرته!

واستطاع أن يرى أن سابينا قد أدركت هذا بنفسها.. ولو متأخرة!

ابتسم لها دون خجل: «آه سابينا.. يا له من عناق!».

ـ أنت.. أنا.. أنت حقاً لا يمكن تشجيعك!

هز كتفيه: «هذا جزء من سحري».

نظرت إليه بسخرية، لكن دون غضب: «العجرفة ليست فضيلة برايس».

رد بخفة: «ولا تجويع النفس فضيلة، هل ندخل للعشاء؟».

ورفع حاجبين أسودين متحدياً، لكنه انتظر. لقد استبدّ بما يكفي لأمسية واحدة!

أخيراً تنهدت وذكرته عن عمد: «حسن جداً.. لكن فقط لأنك صرفت سائقي، وألغيت موعد عشائي لهذا المساء.. وعلى شرط واحد..».

أجفل برايس: «وما هو؟».

أخذت نفساً متشنجاً: «لا مزيد من الأسئلة عن مراسلاتي الشخصية».

قال موافقاً: «حسن جداً».

لم تأخذ سابينا، عمداً، الذراع التي قدمها لها وهما يسيران إلى غرفة الطعام. لكن هذا لم يزعج برايس كثيراً، فبعد أن وافقت على تناول العشاء معه، سيتمتع برفقتها للساعتين التاليتين على الأقل.. فلِمَ يجرب حظه؟

ربما اعتقد أنه ربح هذه الجولة.. هذا ما أدركته سابينا وهو يجلسها إلى مائدة الطعام قبل أن يجلس قبالتها. لكن، الموافقة على تناول العشاء أسهل من استدعاء سيارة أجرة، ثم إيجاد شيء تأكله حين تصل إلى المنزل.

على الأقل، هذا ما أقنعت نفسها به.

أصبحت الآن تعي تماماً أنها لم تأكل شيئاً طوال يومها، وأحست بارتجاف بسيط وخفة في الرأس. وكأنما لإثبات ذلك، أخذت معدتها تخور من الجوع عندما وضعت السيدة پوتر طبقاً من حساء الخضار أمامها.

رفعت سابينا رأسها تبتسم شاكرة لمدبرة المنزل: «أرجو ألا أكون قد أزعجتك كثيراً!».

أكدت لها المرأة الأخرى: «أبداً.. سيكون من الرائع رؤية السيد برايس يأكل عشاءه. لقد تجنب الطعام كثيراً في الأيام القليلة الماضية».

أخذت سابينا تتناول الحساء على مهل، غير قادرة على النظر إلى برايس ولو للحظة. وواجهت مشكلة في إبقاء وجهها دون ابتسام.. لم تكن الوحيدة التي لم تأكل جيداً مؤخراً.

تمتم برايس بعد ثواني صمت عديدة: «حسناً.. حسناً.. أنا لم أكن أهتم بطهو السيدة پوتر في الأيام الثلاثة الماضية، كذلك».

وكشّر ساخراً من نفسه. عبست سابينا قليلاً، لقد مرت ثلاثة أيام منذ تناولت العشاء معه، منذ عانقها.

حاولت ألا تفكر كثيراً بذلك العناق في الأيام الثلاثة الأخيرة. عرفت أن عليها ألا تفكر فيه أبداً. لكنها كانت طوال الوقت تجد الذكرى تطل

برأسها حين لا تتوقعها!

قالت دون تفكير: «أمر مؤسف.. هذا الحساء لذيذ».

ولم تكن راغبة في الخوض في أي نقاش حول ما حدث بينهما منذ ثلاثة أيام. إنها مخطوبة لريتشارد، ومدينة له بالكثير. وما كان يجب أن تتعانق وبرايس. وكلما نسيت هذا الأمر بسرعة، كلما كان أفضل!

ـ كنت أفكر..

ـ أنا حقاً أود أن..

تكلما معاً وصمتا معاً.

ودعته سابينا: «أنت أولاً».

أصر برايس: «لا.. أنت أولاً.. بالرغم مما تظنين، لم أنس بعد حسن الأخلاق تماماً».

هزت كتفيها: «كنت سأطلب منك أن تعيد النظر في مسألة رسم لوحة لي».

رد دون تنازل: «لا».

حسن جداً.. هذه وقاحة.

إنهما رفيقان غريبان، وأدركت سابينا هذا بخشونة.. إنها ترتدي ثياباً لتخرج فيها إلى سهرة وتلتقي بالناس، وبرايس، إضافة إلى كونه لم يحلق يبدو وكأنه نام في ثيابه التي يرتديها.

ويبدو أنه أحس بشيء من أفكارها، إذ مرر يداً خشنة على شعر ذقنه، وقال: «أستطيع الصعود إلى فوق لأحلق بعد أن ننهي الحساء.. إذا كنت تفضلين؟».

في الواقع كانت تفضل هذا، لكن ليس للسبب الذي يظنه. الحقيقة، أن برايس يبدو عملياً أكثر من أي وقت مضى بذقنه السوداء النامية على فكه المربع، وجذاباً إلى أقصى الحدود.

وما أربكها أكثر، كان أن برايس بدأ مرة أخرى بالتقاط البعض من

أفكارها وليس كلها.

قالت ببرود: «أرجوك، لا تزعج نفسك بسببي برايس، لا يهمني أبداً إذا كنت ستحلق اليوم أم لا».

وأدركت، مع اشتداد ضغط فمه، أنه لم يكن يهتم بلهجتها.

تراجعت إلى الوراء في جلستها وقد أنهت الحساء. وواجهته غير مهتمة، وذكرته بخفة: «لم تقل لي بعد ما كنت ستقول قبل قليل».

بدا عبوس برايس وكأنه كان يحب متابعة الحديث، ثم هز كتفيه بنفاد صبر: «أنا مسافر إلى اسكتلندة ليومين، وأريدك أن تأتي معي».

نظرت سابينا إليه غير مصدقة.. لا يمكن أن يكون قد دعاها لتوه للذهاب معه إلى اسكتلندة، هل يمكن؟

التوى فمه ساخراً وهو ينظر إلى تعبيرها المذهول، وقال متشدقاً: «لم أكن أقترح أن نهرب معاً ليومين. فأنا ذاهب إلى قصر جدي».

هذا التفسير لم يجعل الدعوة تبدو أكثر براءة في نظر سابينا.. على أية حال، فهو لم يقل إن جده سيكون في القصر..!

ردت ساخرة: «وماذا تقترح بالضبط برايس؟».

صمت مع عودة السيدة بوتر لتأخذ الأطباق المستخدمة، وانتظر إلى أن رحلت قبل أن يكمل: «أعرف بالضبط أين وكيف سأرسمك».

كررت بقلق، إذ لم يعجبها ما سمعت: «كيف وأين..؟».

ـ أنا لست رسام لوحات شخصية سابينا.. وقد قلت هذا لخطيبك منذ البداية.

ذكرته بتقطيبة حيرة: «لكنك أصريت لتوك على أنك سترسمني».

أكد لها بحماسة: «سأرسمك.. كما تبدين لي، وستكون مأساة ألا أرسمك. لكن لا أنوي أن أرسم لوحة جامدة لك. لا.. أريد أن أرسمك في إحدى غرف قصر جدي تجلسين قرب نافذة مفتوحة، وهذا الشعر الحريري الذهبي يتطاير مع الريح..».

ـ أرتدي ثياباً شفافة ولا شيء غيرها..

بدأت ترتجف بتوتر لمجرد التفكير بالجلوس أمام برايس وهي تبدو هكذا. وما كان يقترحه محض خيالي.. عرفت سلفاً أن عليها إبقاء علاقتها ببرايس ماكليستر على أساس ثابت وراسخ!

لأنها تخشى كثيراً أن تعلق في هذا الخيال لو لم تفعل!

***

كان برايس قد بدأ يرى الرفض يتشكل على شفتي سابينا. وهذا شيء لا يستطيع السماح به.

لم يكن يعرف كيف، أو متى، طرأت الفكرة للمرة الأولى، لكنه وجد فجأة، ومنذ بضع دقائق، الطريقة التي يريد أن يرسم سابينا بها.. وأدرك أنها الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يرسمها بها!

كانت سابينا تحدق إليه دون أن تتفوه بكلمة، لكنها هزت رأسها وقالت ساخرة: «لا أظن أن هذا ما فكر به ريتشارد حين اقترح أن ترسمني».

رد برايس بنفاد صبر: «كما أذكر، لم يقترح شيئاً أبداً».

وتذكر جيداً عجرفة ريتشارد، وأكمل ساخراً: «أنا في الواقع لا يهمني أبداً ما يفكر به لاتم، وإذا لم تعجبه اللوحة حين أنهيها، فسأحتفظ بها لنفسي».

وقد يحتفظ بها لنفسه على الأرجح، على أية حال!

هزت سابينا رأسها ببطء: «أنا لا أستطيع المجيء إلى اسكتلندة معك، برايس حقاً».

سأل بنفاد صبر: «ولمَ لا؟».

وأحس بحماس يدفعه بعد أن جاءه الإلهام، وأراد البدء في الرسم بأسرع وقت ممكن، ورد عليها بجفاء: «جدي سيكون هناك.. لذا فإن كرامتك ستكون آمنة».

رمشت سابينا، وكررت بارتياب: «وهل سيكون جدك هناك؟».

ضحك برايس: «ما إن أقول له إنني سأحضر عارضة الأزياء الجميلة سابينا معي، فأنا واثق من أنه سيكون موجوداً. قد يكون جدي في أوائل الثمانين، لكنه لا زال يحب النساء الجميلات!».

ابتسمت سابينا ابتسامة غامضة لأنه وصف جده هكذا. واستمرت في إدعائها بأنها غير مقتنعة.

حاول برايس أن يقنعها بطريقة مختلفة: «أين تعيش أمك في اسكتلندة؟».

عليه دفع سابينا للموافقة على فكرة الذهاب معاً إلى اسكتلندة..

كررت بذهول: «أمي؟».

مازحها برايس: «حاولي أن تركزي على الحديث سابينا.. أنا أقترح أن نذهب إلى اسكتلندة. وأمك تعيش هناك أيضاً..».

وتعمد الكلام ببطء ووضوح: «وإذا كان مكان سكنها قريباً من منزل جدي، فيمكنك زيارتها ونحن هناك».

هزت سابينا رأسها، بدا واضحاً أن هذا الحديث يجري بسرعة لا تعجبها. كان برايس دائماً هكذا حين يأتيه الإلهام.. ويجهل تماماً كيف سيرسم سابينا، لكنه استطاع أن يراها في قصر جده الآن، وعرف بالضبط كم ستبدو مناسبة هناك.

ـ لكنني لم..

وأوقفت ما كانت ستقوله وعضت شفتها فقال لها: «لِمَ لا؟ لم لا تزوري أمك في اسكتلندة؟ كم قلت إنها عاشت هناك؟».

اعترفت على مضض: «خمس سنوات».

ـ إذن، حان الوقت لتزوريها.

احمر خداها سخطاً لتوبيخه الواضح.

ـ أعتقد أن أية خطط أضعها لرؤية أمي..

أنهى لها كلامها ساخراً: «من شأنك.. وربما هو كذلك. لكن، بما

أننا ذاهبان إلى اسكتلندة على أي حال..».

احتجت سابينا: «لم أوافق بعد على الذهاب معك».

أكمل مقطباً: «ويجب أن تقابلي كلوي في وقت مبكر من الأسبوع القادم. إنها..».

رددت سابينا بذهول: «كلوي؟ تعني كلوي فوكس؟».

ـ أريدها أن تصمم لك فستاناً. وأعرف كيف يجب أن يبدو، لذا فإن كلوي يمكنها رسم التصميم قبل أن تراك. ثم سيكون الأمر مسألة صنعه حسب قياساتك.. هل أسرّع الأمور بالنسبة لك؟

وسخر منها وهي تبدو محبطة أكثر فأكثر مع مرور الدقائق.

كررت سابينا ساخطة: «سريع جداً! أنت..».

وصمتت مع دخول السيدة بوتر لتقدم الطبق الرئيسي.

قالت سابينا لمدبرة المنزل: «يبدو لذيذاً».

ابتسم برايس لمدبرة منزله: «شكراً سيدة بوتر».

والتفت إلى سابينا وهو يضع كمية كبيرة من البطاطس المهروسة في طبق إلى جانب الدجاج المقطع.

ـ ماذا كنت تقولين؟

ـ لا أعرف كيف هي مواعيدي للأسبوع القادم. لكنني أشك كثيراً في أن يكون لدي يومي فراغ أذهب فيهما إلى اسكتلندة حتى ولو أردت الذهاب.

خمّن برايس بسهولة: «وأنت لا تريدين الذهاب».

كررت بقوة: «لا أريد الذهاب».

تمتم مفكراً: «حسناً.. أنت تعملين جاهدة.. لِمَ؟ أنت في القمة منذ سنوات الآن، لذا لا يمكن بكل تأكيد أن يكون هذا بسبب المال..».

وصمت عابساً.

تلك الرسالة التي تلقتها في المغلف الأخضر.. هل يمكن أن يكون

www.elromancia.com

هناك من يبتزها؟ ولِمَ يبتزها.. لم يستطع برايس أن يتصور. لكن لعل هذا يرد على عدد من الأسئلة التي تزعجه منذ اليوم الذي تلقت فيه الرسالة..!

ـ سابينا..

قالت بثقة: «المال ليس السبب برايس. أنا.. أحب أن أعمل.. أن أبقى مشغولة».

وابتسمت بإشراق مزيف: «على أي حال، لعارضات الأزياء حياة عملية قصيرة، ولا يمكنني أن أتوقع البقاء في القمة لمدة أطول».

كان هذا الحديث محاولة ناجحة لتغيير مسيرة النقاش، هذا إذا كان برايس من الرجال الذين يسهل إلهاؤهم وهو لم يكن كذلك.

قال: «محاولة جيدة سابينا، والآن ما هو السبب الحقيقي؟».

لمعت عيناها بزرقة عميقة: «لقد قلت لك لتوي.. كما قلت لك إنني لا أستطيع أن أغادر إلى اسكتلندة في الأسبوع القادم في مثل هذا الوقت القصير.. لدي التزامات عمل».

وأدرك برايس أن السبب هو لاتم. ما من شك في أن ريتشارد لن يكون سعيداً لفكرة ذهاب سابينا معه بضعة أيام. حتى ولو الهدف رسمها. والطريقة الوحيدة للاتفاق هي أن يشمل برايس ريتشارد في دعوته.. وهذا ما لا يريده برايس أبداً.

أراد أن تكون سابينا له لوحده، كما أدرك، ولو ليومين. يريد أن يعرفها، بعيداً عن لندن، وعن التزامات عملها، وعن لاتم خصوصاً..

ابتسم مكشراً: «ربما لو شرحت الموقف لخطيبك..».

ـ سيكون ريتشارد مسافراً في أوستراليا طوال الأسبوع القادم.. وسأنضم إليه في نهاية الأسبوع.

عرف برايس تماماً سبب هذا الدفاع ولم يتمكن من إخفاء ابتهاجه لسماع خبر سفر ريتشارد لاتم في الأسبوع القادم.

قال بغير صدق: «من المؤسف أنه لن يتمكن من الانضمام إلينا. لكن

بالتأكيد، ما من مشكلة لو أخرت الانضمام إليه حتى يوم الاثنين».

تنهدت سابينا: «أنت عنيد كثيراً برايس».

لقد جاءت إلى هنا هذا المساء لسبب وحيد هو إقناع برايس بأن يقول لريتشارد لاتم إنه لا يستطيع أن يرسم لوحة لها.. لماذا؟ هل أثّر عليها العناق منذ ثلاثة أيام أكثر مما تريد أن تعترف؟

إذا كان الأمر كذلك، فبالنسبة لبرايس هذا سبب إضافي يدفعها للذهاب إلى اسكتلندة معه.. قد تكون سابينا مخطوبة لريتشارد لاتم، لكنها لن تستطيع الزواج به إذا كانت منجذبة إلى برايس!

لقد جاءت إلى هنا هذا المساء وفي نيتها ألا ترى برايس مرة أخرى.. وبدلاً من ذلك وجدت نفسها تناقش إمكانية قضاء نهاية أسبوع معه في اسكتلندة! وهذا أمر مستحيل!

ـ أنا آسفة برايس.. لكن عليّ أن أذهب الآن.

ووضعت الشوكة والسكين في طبقها قرب البيض المقلي الذي لم تمسه.

ـ لِمَ؟

لم تَنخدع لحظة بلطف لهجته، وعرفت من عينيه الخضراوين الضيقتين أن مزاجه بعيد جداً عن اللطف.

ـ لأنني أريد الذهاب.

ودفعت كرسيها إلى الوراء لتقف.

كشّر وهو يقف بدوره: «قد تقدم السيدة بوتر استقالتها بعد هذا. فهذه هي المرة الثانية هذا المساء التي يعود فيها العشاء الذي حضرته دون أن يؤكل!».

ابتسمت سابينا بخشونة: «أنا واثقة أنك أكثر من قادر على التعامل مع خيبة أمل السيدة بوتر».

في الواقع كانت واثقة من أن برايس أكثر من قادر على التعامل مع معظم المواقف!

وسألت بصوت أجش: «هل أستطيع استخدام هاتفك لاستدعاء سيارة أجرة؟».

ولأن برايس ألغى كل خططها الأخرى لهذا المساء، فقد أغرتها فكرة أن تنقع نفسها في مغطس ساخن، ثم تنام ليلة جيدة.

ـ سأوصلك بنفسي..

قاطعته بحزم: «لا.. أعتقد أنك فعلت لي ما يكفي لأمسية واحدة!».

ولم يفت برايس فهم سخريتها واشتد ضغطه على فمه بغضب لهذا التهجم.. حسن جداً، لم تستطع منع نفسها، إذ ليس هناك مهرب. فلقد ألغى خططها، وهي تحتاج للابتعاد عنه، لا لقضاء المزيد من الوقت في السيارة الضيقة معه!

أخيراً قال بحدة: «عظيم.. سأذهب لأتصل بسيارة أجرة لك الآن».

لم تكن قد طلبت هذا بالضبط، لكن سابينا كانت تحس بتعب شديد يمنعها من التجادل معه مجدداً، إضافة إلى أن بضع دقائق تأخير بعيداً عن قوة برايس الغامرة، ستعطيها فرصة لتحاول التخفيف من حدة توترها.

لَمَ يصعب عليها أن تكون برفقة برايس؟ ما سرّه يا ترى؟ لا تظن أنها أرادتَ رداً على سؤالها.. بل كانت واثقة أنها لا تريد أن تعرف الرد؟

عاد برايس ليقول لها: «ستكون السيارة هنا بعد دقائق. وأنا جاد تماماً حول ذهابنا معاً إلى اسكتلندة في الأسبوع القادم سابينا».

كانت تعرف أنه جاد.. لكنها لا تريد الذهاب. ولا ترى سبباً يدعوها لهذا!

ردت دون التزام: «سنرى».

وبقدر ما تكره أن تعترف بذلك، كانت تعرف أنها ستتحكم أكثر بالموقف ما إن تبتعد عن برايس.

رد برايس بعناد: «سنرى بكل تأكيد».

لم يكن انتظار السيارة لبضع دقائق مريحاً لسابينا، فلم يتبادلا إلا أطراف

الحديث. كان كلاهما سيتنهد ارتياحاً حين يصل التاكسي.

وأمام ذعرها، سار برايس معها إلى الخارج، وفتح لها الباب الخلفي.

ترددت سابينا قبل الدخول، غير واثقة مما ستقول. ولم تكن قادرة على أن تشكره لأمسية مبهجة.. فالأمسية لم تكن هكذا!

نصحها برايس بجفاء: «لست مضطرة لقول شيء، عناق يكفي».

أحست سابينا بداية بالدهشة ولم تقاوم، ثم مع إطالة العناق، وجدت أنها لن تستطيع الابتعاد حتى ولو أرادت.. وأحست أن جسمها أصبح عاجزاً عن إطاعة أوامرها!

ابتعد برايس عنها قليلاً، ويده تمسك ذقنها وهو ينظر إلى عينيها ويقول بصوت أجش: «سأتصل بك».

تحركت سابينا بسرعة وخداها يشتعلان قبل أن تدخل السيارة وتعطي السائق العنوان، وهي غاضبة من نفسها ومن برايس معاً.

أبقت نظرها ثابتاً إلى الأمام مع تحرك السيارة مبتعدة عن الرصيف، رغم أنها تعي أن برايس يقف ويراقبها إلى أن ابتعدت السيارة.

كيف يجرؤ على عناقها متى وأينما أراد؟ وكأنه هو خطيبها بدلاً من ريتشارد..

يا إلهي.. ريتشارد!

ماذا سيقول ريتشارد بحق السماء لو عرف أن برايس ماكليستر عانقها... مرتين لا مرة واحدة؟

حسن جداً.. لم تكن هي البادئة في أي عناق مع برايس.. لكنها لم تحاول بالضبط أن تمنعه.

لَمَ لم تفعل؟

كان هذا أمراً لا تريد حقاً أن تبحث فيه كثيراً وبإمعان! ربما ستتمكن من شرح ما حدث أول مرة، لكن ما حدث لتوه غير مقبول بتاتاً.. صحيح أنها لم تتسبب به، لكن ما كان يجب أن يحدث.

لكنها لم تكن تنوي أبداً أن تقول لريتشارد. فعلاقتهما لم تكن حميمة، وسيخلف هذا موقفاً كانت مصممة على تجنبه.

لدهشتها، كانت الأنوار مضاءة في الطابق الأرضي من المنزل حين وصلته وازدادت راحتها حين دخلت لتجد ريتشارد بانتظارها.

ابتسمت له بحرارة وقالت: «لم أكن أتوقعك قبل الغد».

وقف ريتشارد لدخولها وقد ضاقت عيناه وهو ينظر إليها متأملاً، وقال بقسوة: «هذا واضح».

على الفور، وبإحساس ذنب، أحست سابينا أن ريتشارد اكتشف بأن برايس ماكليستر، ومنذ أقل من خمس عشرة دقيقة، عانقها.. أكان هذا يبدو على وجهها؟ أم أن هناك شيئاً آخر يفضحها؟

استدار ريتشارد ليأخذ فنجان الشاي ويرتشف منه جرعة قبل أن يتكلم: «لقد عاد كليف منذ أكثر من ساعة».

وارتفع حاجباه الأشقران بتساؤل.

وأجفلت لما فكر به ريتشارد حين قال له سائقه ما حدث.

ـ ذهبتُ لرؤية برايس وأنا في طريقي إلى حفلة هذا المساء..

سأل ريتشارد بقسوة بعد أن توقفت: «أجل؟».

تنهدت: «أيمكنني أن أحصل أيضاً على فنجان شاي؟».

التوى فم ريتشارد ساخراً، وسألها وهو يعطيها الفنجان: «هل ما ستقولينه لي سيء إلى هذه الدرجة؟».

نظرت إليه بحدة، بعد أن أدفأها الشراب الساخن: «أنا لا أفهم..!».

ـ كلانا يعرف منذ البداية أن خطوبتنا هي اتفاق عمل صرف.. وواضح أنك أمضيت لتوك الأمسية مع ماكليستر..

قاطعته بخفة: «بالكاد تكون الأمسية كلها ريتشارد.. فالساعة الآن التاسعة والنصف.. في الواقع ذهبت لأرى برايس هذا المساء لأجل.. لأجل..».

قاطعها بنعومة: «من أجل ماذا.. سابينا؟».

انفجرت فيما عرفت أنه لهجة دفاعية: «لتدبير جلسة رسم أخرى».

لكنها لم تستطع منع نفسها.. ببساطة، لم تكن مستعدة للرد على أسئلة ريتشارد بمثل هذه السرعة بعد عناق برايس لها، لأنها تشعر أنها مذنبة ولو أنها ليست البادئة!

ـ لم لم تتصلي به؟

ولم لا.. حقاً؟ هزت كتفيها: «كنت مارة من هناك».

عبس ريتشارد: «و..؟».

ـ ريتشارد، أنت مبكر في العودة إلى المنزل ليوم كامل.. دعنا لا نضيع الأمسية بالتحدّث عن برايس ماكليستر.

واحتضنت ذراعه بعد أن أحست بتوتره.

رد عليها: «لكنني لا أعتبر هذا مضيعة للوقت.. هل أمضيت أمسيات أخرى في منزل ماكليستر بينما أنا مسافر؟».

هزت رأسها مقطبة: «بالطبع لا.. ريتشارد، لم أكن أرغب في أن أقول لك هذا.. لأنني أعرف كيف تقلق.. لكنني ذهبت إلى بيت ماكليستر لأرتب موعداً آخر للرسم.. وأنا.. حسن جداً.. أغمي علي».

كرر بعبوس وهو يمسك ذراعيها لينظر إليها متفحصاً: «أغمي عليك؟ ماذا حدث سابينا؟ هل تلقيت المزيد من تلك الرسائل؟».

أكدت له فوراً: «لا.. لا.. نسيت أن آكل اليوم، وهذا كل شيء».

ردد مؤنباً: «أيتها الفتاة السخيفة.. وأنا كنت جالساً هنا منذ ساعة وتدور في رأسي أفكار غريبة.. هل تناولت شيئاً؟».

هزت رأسها: «لقد أصر برايس على إطعامي».

ولا داعي لإخبار ريتشارد، لأنها بسبب موضوع حديثهما لم تتمكن من أكل شيء ما عدا صحن الحساء!

كانت تعرف منذ البداية أن ريتشارد متملك. لكن حب التملك هذا

يجعله يحمي ما يعتبره ملكاً له. وفي الأشهر القليلة الماضية، كان هذا ما تحتاج إليه بالضبط.

ابتسم لها ريتشارد ابتسامة دافئة: «جيد.. أنا آسف إذا لم أرحب بك قبل بضع دقائق، المسألة أنك جميلة جداً.. وفريدة من نوعك..».

وهز رأسه بخشونة: «كان عليّ ألا أشك بك».

ابتلعت سابينا ريقها بقوة، فهي تعرف أنه لم يكن مخطئاً في شكه بها..

* * *

٦ ـ أغلى من الذهب

بدا صوت جدّ برايس نافد الصبر عبر الهاتف: «ماذا تعني أنك ستأتي بفتاة إلى هنا؟».

رد برايس: «ما سمعته بالضبط جدي».

فكر برايس أنه من الصواب، قبل متابعة المسألة مع سابينا أو ريتشارد لاتم، أن يسأل جده إذا كان يمانع في أن يأتي بضيفة معه إلى اسكتلندة نهاية الأسبوع القادم. لم يتوقع بالتأكيد ردة الفعل هذه على طلبه!

وازداد جده سخطاً: «هذا ليس فندقاً يا ولد.. أعرف أنه لم يخطر في بالكم أنتم الصبيان أن لدي حياتي الخاصة التي أعيشها هنا.. أنا لا أجلس هنا فقط لأنتظر واحداً منكم ليشرفني بزيارة عشوائية!».

يا للسماء.. لا شك أنه فاجأ جده في يوم سيء! كان برايس يعرف تماماً كم تشغل الأملاك في اسكتلندة جده.

كان من المسلي كذلك كيف لا يزال الجد يشير إلى لوغان وفيرغوس وبرايس بالصبيان وكلهم أصبحوا في سن السادسة والثلاثين، ممّا لا يجعلهم «صبياناً» أبداً!

تابع الجد قبل أن يتمكن برايس من الرد: «إضافة إلى هذا.. من الممكن أن يكون لدي ضيف في نهاية الأسبوع القادم».

ردد برايس باهتمام: «ضيف جدي؟».

ـ لدي أصدقاء، يا ولد.

www.elromancia.com

ـ وهل هذا الصديق الذي تتكلم عنه . . أنثى؟

وبقدر ما وجد برايس الفكرة غريبة، إلا أن جده لا يزال وسيماً ولو أنه في أوائل الثمانين وهو أرمل منذ بضع سنوات.

صاح الجد: «لا تكن وقحاً معي يا ولد».

أدرك برايس غير مصدق: «إذن . . نحن نتكلم عن صديق أنثى».

رد الجد: «نحن لا نتكلم عنها أبداً».

ـ إذن أنت لست من النوع الذي يُخبر الناس ما حصل معه جدي؟

رد العجوز بحدة: «احفظ لسانك يا صبي».

كان هذا تعقيداً لم يتوقعه برايس أبداً. عليه أن يعترف بهذا، ولم يكن واثقاً كيف يتعامل مع المسألة الآن!

لقد نصح سابينا بأن تكون ناضجة في علاقتها بأمها . . وها هو الآن في موقف مشابه مع جده، ولا يعرف كيف يتعامل مع المسألة!

قال ببطء: «إذن . . الرد هو لا . . جدي؟».

رد العجوز دون اكتراث: «أنا لم أقل هذا . . أنا أحاول فقط أن أشير إلى أنّ بيتي ليس فندقاً. مكان لتأتي إليه بالمرأة الحالية في حياتك . . ».

ـ سابينا ليست المرأة الحالية في حياتي.

وكان من الممكن أن يضيف برايس كلمة «للأسف» وهو متأسف حقاً.

ـ لقد قبلت تكليفاً لرسم لوحة لها . . وهذا كل شيء!

كانت راحة باله معذبة منذ ذلك الأسبوع حين رأى سابينا لأول مرة . . ولم يكن متأكداً إن كان رسمها سيخرجها من تفكيره أم لا.

ردد الجد بحدة: «سابينا؟ هل تتكلم عن العارضة سابينا؟».

أكد بقلق: «إنها هي . . والوحيدة. ولو أنني كنت أجهل أنك تتابع أخبار الأزياء ياجدي».

لم تكن رؤية صور سابينا أمراً صعباً، فوجهها يزين الصفحات الأولى من المجلات منذ خمس سنوات أو أكثر.

قال العجوز ساخراً: «أنت لا تعرف كل شيء عني برايس».

ـ هذا واضح.

وهو بالتأكيد لم يسمع كل شيء عن جده وعن امرأة تقيم معه من قبل. ولا يعتقد أن لوغان أو فيرغوس سمعا شيئاً عن هذا، وإلا لكانا ذكرا هذا له بالتأكيد.

سأل الجد مفكراً: «ومتى تفكر بالمجيء؟».

ـ لست متأكداً . . أردت أن أثبت الموعد معك قبل أن أقدم على أية خطة نهائية.

أكد الجد بخفة: «أنا لا أمانع».

قطب برايس قليلاً. لم يبدُ أن جده «لا يمانع» منذ بضع دقائق.

ـ إذن سأتصل بك خلال الأسبوع لأؤكد الوقت إذا كنت موافقاً؟

كان لديه موعد مع ريتشارد لاتم بعد أكثر من ساعة، وسيعرف ما إذا كان سيتمكن من أخذ سابينا إلى اسكتلندة. كان يفضل كثيراً لو يكون بمفرده مع سابينا. لكن بما أن ريتشارد لاتم هو الذي سيكلفه بالرسم . . ولسوء الحظ! هو خطيب سابينا، فقد قبل برايس التكلم مع لاتم . .

كان يأمل أن تكون سابينا موجودة. مر يومان منذ تركت منزله فجأة. يومان طويلان لم يفكر برايس فيهما بشيء عداها. وتعمد ترك الأمر ليومين قبل ترتيب لقاء مع ريتشارد لاتم. فهو أولاً، أراد إعطاء سابينا وقتاً تتجاوز فيه غضبها منه، وثانياً لا يريد أن يبدو متلهفاً!

وعلى الأرجح كان السبب الثاني هو الأهم، كما اعترف لنفسه.

وبدا له أنه يقضي الآن كل ساعات يقظته يفكر بسابينا. ويتذكر كيف أحس بها بين ذراعيه.

لا يتذكر أنه تعلّق بامرأة في حياته هكذا من قبل . . امرأة لا يمكنه الحصول عليها أبداً!

رد جده: «عظيم . . لكن تأكد من أن أعرف في أي وقت ستصل».

أكد له برايس بجفاء: «سأحاول ألا أضبطك في لحظة حرجة يا جدي».

كان لا يزال غير واثق من شعوره نحو وجود «صديقة» لجده.

قال الجد: «أتمنى أن تتذكر الخلق الحسن أيها الولد، لن أسمح لك بتوجيه أي ملاحظة ذكية إلى.. صديقتي».

وعده برايس: «سأتصرف أحسن تصرف يا جدي».

لا بد أن جده جاد لدرجة أنه يشدّد على حسن تصرف عائلته أمامها.

لم يكن برايس متأكداً من شعوره حيال هذا الأمر، وهو عاجز ببساطة عن تصور جده مع أي شخص آخر عدا جدته.

هذا كان نوعاً من الأنانية من جهته.. فعلى أي حال، كان جده يقضي معظم وقته لوحده، في حين تزوره بقية العائلة في اسكتلندة نادراً.

جاء تعليق الجد المودع: «هذا أفضل لك».

جلس برايس يفكر عابساً لعدة دقائق بعد انتهاء المكالمة. وأجبر نفسه على التحرك حين أدرك أن لديه أقل من ساعة ليغير ثيابه ويقود سيارته إلى منزل ريتشارد لاتم. وعلى أي حال، ما دخله إذا كان جده قد وجد من يقضي معها وقته أم لا؟ فجده رجل بالغ.. بالغ جداً! وهو أرمل وبهذا هو حر أن يفعل بحياته ما يريده تماماً.

أدرك برايس أنه حان الوقت لتطبيق النصيحة التي قدمها لسابينا فيما يخص أمها، لذا عليه أن يفرح لجده، وألا يحكم عليه. فهذه حياته.

كانت خيبة أمل برايس حادة حين أدخل إلى غرفة الاستقبال في منزل ريتشارد لاتم بعد ساعة ليجده وحده، وما من شك أن سابينا كانت تعمل مرّة أخرى.. للأسف!

كان ريتشارد لاتم يرتدي ثياباً رسمية، بذلة رمادية قاتمة وقميص أبيض، وشعر أشقر قصير، مع قليل من الشعر الرمادي على صدغيه.

لا شك أن الشعر الرمادي يزيد من جاذبيته. ريتشارد لاتم رجل

وسيم، وقد تقبل برايس هذا دون اهتمام.. لا بل هو جذاب بشكل خشن، عيناه زرقاوان عميقتان، بنيته الطويلة لا تزال رشيقة ومتناسقة بالرغم من سنوات عمره الخمسين.

لكن وهو ينظر إلى ريتشارد تذكر برايس أنه يكره هذا الرجل بقوة!

ففي لقائهما الأول، توتر برايس جداً لعجرفة ريتشارد.. لكن، وهو ينظر إليه الآن، أدرك أنه يكرهه لسبب آخر، فالرجل يعيش مع سابينا. ويقضي كل يوم معها.. وكل ليلة! وأكثر من أي شيء كانت تلك الليالي هي التي يكرهها ويكره حتى التفكير بها.. وأحسّ برايس برجفة داخلية لمجرد التفكير في هذا الموضوع.

دعاه ريتشارد بحدة: «إجلس.. هل لي أن أقدم لك شراباً؟ شاي؟ قهوة؟ أم تفضل عصير الفاكهة؟».

رفض برايس ببرود مماثل: «لا شكراً».

كان يعرف أنه لن يبقى طويلاً ليشرب شيئاً. فمجرد وجوده مع هذا الرجل في غرفة واحدة يجعل أسنانه تشتد غيظاً!

نظر إليه الرجل الآخر بعينين زرقاوين ضيقتين.

ـ في هذه الحال.. بِمَ أستطيع أن أخدمك؟

التوى فم برايس بسخرية: «أعتقد أنني أنا الذي أستطيع فعل شيء لك! أن أرسم لوحة لسابينا».

وتابع الرجل النظر إليه بتساؤل بارد، ثم هز رأسه ببطء، وكأنما تذكر هذا الواقع.

ـ آه.. أجل.. وما رأيك بهذا الآن؟

كانت عدوانيته تزداد مع الوقت، وفكر برايس أنه من الأفضل له أن يقول ما يريد ويغادر.. وبأقصى سرعة ممكنة!

قال ببرود: «سأرسمها. لكن ليس هنا.. بل في اسكتلندة.. فأنا..».

ودخلت مدبرة المنزل إلى الغرفة بعد قرع الباب: «طلبت مني أن أخبرك حين تستيقظ الآنسة سابينا سيد لاتم».

هز مخدومها رأسه: «شكراً لك سيدة كلارك، قولي لها إنني سأصعد لأراها بعد دقائق».

سأل برايس بقلق ما إن أصبحا لوحدهما: «هل سابينا مريضة؟».

الساعة الآن الثانية بعد الظهر بحق السماء!

لمع شيء لوقت قصير في عيني ريتشارد جراء قلق برايس الواضح.. هل هو توتر؟ سخط؟ كراهية؟ واختفى ذلك البريق بسرعة، ولم يعرف برايس ما هو.

من المؤكد أن ابتسامة ريتشارد الآن لم تكن تصل إلى عمق عينيه الزرقاوين الجليديتين.. وقال بخفة: «لا شيء.. سابينا.. رقيقة. هل نقول، متوترة قليلاً؟ أقل إزعاج ممكن أن يضعفها أكثر.. حبي المسكين».

كان يبدو أن الرجل يختار كلماته بحرص. وفي الوقت ذاته، أحس برايس أن ريتشارد يتعمد هذا تماماً.. ولم يوافقه الرأي على أن سابينا رقيقة أو متوترة.. صحيح أنها كانت تبدو هكذا أحياناً، وهو يتمنى لو تبتسم أكثر. لكن عدا هذا كانت تبدو له امرأة قادرة تماماً على التعامل مع أي موقف تختار الحياة أن ترميه في دربها.. وعلى أي حال، لقد رمته الحياة في دربها.. ولم تجد مشكلة في التعامل معه!

رد برايس: «أنا آسف لسماع هذا».

أمال ريتشارد لاتم رأسه قليلاً: «لقد ذكرت لي سابينا فكرتك بالذهاب إلى اسكتلندة..».

تصلب برايس: «و..؟».

هز ريتشارد كتفيه: «لا أرى سبباً يدعو لعدم قبولنا دعوتك».

ـ قبولكما؟

جلس برايس متوتراً على حافة مقعده.. وجود ريتشارد لاتم معهما في

اسكتلندة كان آخر ما يريده!

ـ لقد قالت لي سابينا إنك لن تتمكن من هذا؟

رد بلطف: «وهل فعلت هذا؟ لقد غيرت خططي.. وسنحب كلانا أن ننضم إليك في اسكتلندة لنهاية الأسبوع».

هذا كثير على الانطباع الأول الذي أعطاه الرجل بأنه لا يعرف سبب زيارة برايس إلى هنا اليوم!

نظر إلى الرجل نظرة ضيقة. ولم يخدعه للحظة سحر ريتشارد السطحي وأخلاقه المهذبة.. فقد كان في كل جزء منه خطيراً.

وسابينا مخطوبة لتتزوج منه!

* * *

تمتمت كلوي برضى وهي تعدل الحزام تحت صدر سابينا قبل أن تقف لتعجب بعملها: «البرايس ذوق مرهف».

ولبرايس أشياء كثيرة.. وسابينا موافقة على هذا.. لكن رجلاً له ذوقه سيكون بعيداً عن قمة لائحتها. وليس لأن الثوب الذي طلب من كلوي تصميمه لها لم يكن رائع الجمال، بل لأنه جميل جداً.. فبرايس ليس فناناً فحسب بل هو مبدع.

بالكاد استطاعت أن تصدق حين أخبرها ريتشارد أن الرجلين دبرا أمر سفر الثلاثة إلى اسكتلندة نهاية هذا الأسبوع. كانت قد ظنت أنها بإخبار ريتشارد عن اقتراح برايس، سيتصرف بسرعة وسلبية. إلا أن ريتشارد قرر تأخير رحلته إلى أوستراليا كي يذهب معها! ودون افتعال مشكلة من الموقف كله، اضطرت سابينا أن تقبل بالخطة.

ولهذا السبب، تجري هذا القياس مع كلوي فوكس في اليوم الذي يسبق رحيلهم إلى اسكتلندة!

أحست، منذ أول لقاء مع برايس ماكليستر، أن قوة مدّ موجه قد أطاحت بها.. ولم يكن هذا الإحساس يريحها أبداً!

شجعتها كلوي: «قولي إنه يعجبك».

وكان من المستحيل ألا تطري كلوي على الثوب. فالقماش، كما اقترحت سابينا ساخرة قبل أيام، كان بلون الذهب الشفاف. وكانت سابينا واثقة من أنها لم ترتدِ من قبل أي شيء بهذا الجمال.

ضغطت على ذراع المرأة الأخرى مطمئنة: «إنه رائع..».

عبست كلوي بقلق: «هل تظنين أنه سيعجب برايس؟».

كتمت سابينا ردها اللاذع حول عدم اهتمامها ما إذا كان سيعجبه أم لا، وهي تعي تماماً أن كلوي، إضافة إلى كونها مصممة أزياء ناجحة، فهي كذلك متزوجة من ابن خالته فيرغوس.

قال برايس معلقاً من خلفهما: «سوف يحبه».

استدارت سابينا بحدة لسماعها صوته. وهرب اللون من خديها ثم عاد بسرعة للإعجاب الصريح في نظرة برايس.

إنه يبدي إعجابه بالثوب، وليس بها شخصياً.. ووبخت نفسها بسرعة، يجب أن تتذكر هذا.

قالت كلوي بارتياح ظاهر: «أنا مسرورة لأنه أعجبك».

طمأنها برايس وهو يخطو إلى غرفة القياس عندكلوي: «إنه مكتمل».

كان برايس يرتدي بنطلوناً عادياً وتيشيرت أسود، يبرز عضلات ذراعيه وصدره.

أدركت كلوي وهي تنظر إليه بإعجاب: «لقد قصصت شعرك».

ولاحظت سابينا هذا. فالشعر الطويل الأسود ذهب، وتحوّل إلى شعر أقصر، يكاد يكون مقصوصاً على طراز روماني وقد نجحت قصة الشعر هذه في جعله يظهر جذاباً بشكل خشن أكثر مما مضى!

لم يبدُ برايس سعيداً بملاحظة كلوي. ورفع يداً مترددة إلى شعره الأسود، وقال ساخراً: «اعتقدت أن الزي الهيبي أصبح طرازاً قديماً».

ضحكت كلوي بنعومة: «إنه يناسبك! سأذهب لأحضر القهوة لنا

جميعاً».

وغادرت الغرفة.

كانت سابينا تعي تماماً أنها أصبحت لوحدها مع برايس. ولم تستطع مقابلة نظرته المتفحصة التي أحست أنها متجهة إليها.

قالت سابينا بصوت أجش: «سأذهب لأبدل ثيابي».

كانت لا تزال تجد صعوبة في النظر إليه.

أكد لها برايس: «هذا الثوب هو ثيابك. وسيدخل في فاتورة لاتم التي سيسددها ثمناً للوحة».

هزت رأسها فجأة: «طبعاً.. مع ذلك..».

وتحركت نحو الغرفة الصغيرة المربعة حيث خلعت ثيابها لتقيس الثوب وقد تخلت عنها رشاقة حركاتها الطبيعية كما يبدو وهي تصطدم بالكرسي في طريقها إلى الداخل محاولة بجهد تجنب السير قريباً من برايس الذي وقف ثابتاً في مكانه.

وتسللت إحدى يديه نحوها وهي تمر به واستدارت أصابعه بخفة حول أعلى ذراعها.

ـ هل أنت أفضل حالاً الآن؟

قطبت: «أفضل..؟».

ثم خلا جبينها من الخطوط وهي تدرك أنه يشير إلى واقع أنها كانت في الفراش حين جاء لرؤية ريتشارد. واعتذرت دون اكتراث: «مجرد تلبّك بسيط في المعدة».

لم يتركها برايس، بل وقف قريباً منها. وحرّك دفء أنفاسه الشعر الناعم على صدغيها..

وقال ببطء: «بدا أن لاتم كان يلمح إلى شيء آخر».

هزت رأسها: «ربما أسأت فهمه».

وأصبح تعبير وجهها فارغاً. في الواقع كانت قد تلقت رسالة أخرى

مثيرة للاضطراب في ذلك اليوم بالذات. لكنها لم تكن تنوي إخباره بالمسألة!

ضاقت العينان الخضراوان في حين تابع برايس النظر إليها متفحصاً، وأخيراً تمتم: «لا.. لا أعتقد هذا».

هزت سابينا كتفيها بغير اكتراث، ثم ابتسمت بإشراق، وتعمدت تغيير الموضوع: «إذن.. سنسافر إلى اسكتلندة غداً؟».

ـ أجل هذا صحيح.. ما الأمر.. ألا يثق لاتم بك كي تكوني وحدك معي هناك ليومين؟

نظرت إليه بسخرية: «لا أعتقد أنه أنا من لا يثق به».

ضحك برايس.. ضحكة مستهترة شيطانية بالكامل.. وتمتم برضى: «يمكنه أن يكون محقاً!».

كانت واثقة من أنه محق. لكنها لا تستطيع الادعاء بأنه لا ملامة تقع عليها في المرات التي كانت فيها بين ذراعي برايس.. إذ أنها بطريقة ما كانت تجد نفسها دائماً بين ذراعيه!

أدركت سابينا فجأة أن كلوي استغرقت وقتاً طويلاً لتحضير القهوة.

ـ ألم تتصلي بأمك بعد؟

رفعت سابينا نظرها مقطبة لفجائية سؤال برايس: «أمي..؟».

تنهد بنفاد صبر: «سنذهب إلى اسكتلندة. وأمك تعيش هناك، أم إنكِ نسيت هذا؟».

ـ بالطبع لم أنسَ.

ونفضت عن ذراعها اليد التي تؤخرها: «لكن أمي وريتشارد..».

وصمتت مع تنهيدة انزعاج وهي تدرك ما كانت ستقول.. وهذا ببساطة ليس شأن برايس ماكليستر!

كرر برايس مفكراً: «ألا توافق أمك على خطيبك الكبير المُسن؟».

كشرت سابينا في وجهه بنفاد صبر، وردت متوترة: «ريتشارد ليس مسناً وما من قانون ينص على ضرورة موافقة أمي على اختياري لخطيبي. أو

العكس بالعكس».

قال برايس ساخراً: «ولاتم لا يحب أمك كذلك. حسن جداً.. أستطيع فهم مشاعر أمك تماماً في هذه المسألة. على أي حال فالرجل يصغرها بعشر سنوات فقط! لكنني سأحتفظ بحكمي عما إذا كان على حق أم لا بموقفه من أمك».

كررت سابينا غير مصدقة: «ستحتفظ بحكمك..؟ برايس.. من غير المحتمل أن تقابل أمي. إضافة إلى أن هذا ليس من شأنك».

وافق، وهو يتراجع إلى الوراء ويضم ذراعيه إلى صدره.

ـ أبداً. قولي لي.. هل من شخص يحب خطيبك؟ عداك بالطبع.

شهقت غير مصدقة: «برايس.. لقد تماديت كثيراً..».

قاطعها بخشونة: «ليس بعيداً كما أحب أن أذهب، صدقيني».

وصدقته سابينا. هذه هي المشكلة، فبرايس قانون بحد ذاته. والله وحده يعلم كيف ستكون نهاية الأسبوع هذه!

ستسر كثيراً بأن تنتهي هذه اللوحة بسرعة ولا تعود مضطرة لرؤية برايس مجدداً.

أين هي كلوي بحق السماء؟ والسؤال الأهم هو أكانت كلوي تعلم بأن برايس سيزورها هنا اليوم؟

قال برايس ببطء: «ثمة أمر واحد آخر أود قوله عن نهاية الأسبوع هذه».

نظرت إليه بقلق: «نعم؟».

هز برايس كتفيه: «جدي في الثمانينات من عمره».

زاد توترها: «نعم؟».

ـ لا أقول هذا في حكم مسبق على تصرفاتك الأخلاقية.. أرجو أن تفهمي.

لا.. لم تفهم سابينا.. بعد. لكن كان لديها إحساس مؤكد أنها ستفهم

بسرعة.

دعته بصوت أجش: «هيا.. تابع».

تابع بخفة: «الأمر بسيط في الواقع. كيف تعيشين مع لاتم وأنتما في لندن من شأنك أنت. لكن حين تكونان في اسكتلندة...».

وصمت.

صاحت: «برايس.. هل لك أن تصل إلى لب الموضوع؟ مهما كان؟».

قاطعها: «الموضوع سابينا.. أن جدي المسن لديه بعض وجهات النظر القديمة الطراز، وواقع أنك ولاتم تعيشان معاً في لندن لا يعني أن جدي قد يرغب بتقبل ذلك الترتيب حين تكونان في منزله! ولهذا، سيخصص لكما غرفتين منفصلتين خلال إقامتكما في اسكتلندة».

أحست سابينا باللون الأحمر المتصاعد في وجنتيها يكاد يخنقها. وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تتكلم..

وقالت ببرودة: «لا مشكلة لدينا في هذا».

اسودّ تعبير برايس: «لا أهتم أبداً برأي لاتم في المسألة. فأنا أحاول أن أنقذك أنت من الحرج».

ردت ساخرة: «هذه مراعاة جيدة لمشاعري برايس».

كانت واثقة من أن تصرفه هذا لا علاقة له باللطف.. إذ يبدو أنه يقضي معظم وقته بإحراجها بطريقة أو بأخرى!

أضافت بخفة: «والآن.. لو عذرتني.. يجب أن أخلع هذا الثوب».

وتحركت مبتعدة.

ناداها برايس: «شيء واحد آخر سابينا..».

أجفلت واستدارت ببطء وسألت: «نعم؟».

لمعت عيناه تسلية، أو بشعور آخر لم تستطع معرفته. ولم تستطع كذلك معرفة الكثير من نبرة صوته الجوفاء حين تكلم.

- إنه قصر قديم جداً. عمره قرون، فقد قام جدي عبر السنين بتركيب

الكثير من وسائل الراحة الحديثة بشكل خفي..

قاطعته ساخرة ببطء: «أتعني أن له الآن مجاري داخلية؟».

أكد لها برايس: «من بين أشياء أخرى. لكنني كنت أشير في الواقع إلى أن جدي، لم ينجح كثيراً في حل مشكلة الأبواب وخشب الأرض التي تصدر عنه صريراً».

الأبواب وخشب الأرض التي تصرّ..؟

وعبست سابينا.. واكتسى خداها بلون الغضب وهي تدرك بالضبط ما يلمّح إليه برايس. إنه يحذرها من أي تجول ليلي من قبل ريتشارد أو قبلها، إذ من المحتمل أن يسمعه من هم في غرف النوم القريبة!

رمقته بنظرة فولاذية، وردت بحدة: «أنا واثقة من أن ريتشارد وأنا قادران على التكيف لليلتين..».

وأكملت تسأل ببرود: «هل هذا كل شيء..؟».

ولم تنتظر رده قبل أن تسير بتصميم إلى داخل الغرفة وتقفل الباب وراءها بحزم.

كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ؟

حكم أخلاقي على نمط حياتها.. حقاً؟ إنه لا يعرف شيئاً أبداً عنها أو عن «نمط حياتها» وهي تعيش في لندن.

لا شيء على الإطلاق!

فلو أنه يعرف، لعرف أنها وريتشارد يشغلان غرفتي نوم منفصلتين.

* * *

٧ ـ كالسحر

تمنى برايس لو لم يقبل عرض ريتشارد لاتم بأن يسافر معه ومع سابينا في سيارة واحدة. لأن قضاء الوقت مع سابينا برفقة خطيبها، لم يكن تجربة مرضية، بالنسبة لبرايس على أي حال، فالاثنان الآخران لا يبدو أنهما يشعران بمثل هذه الهواجس. فقد كانا يتحدثان معاً بكل سعادة في مؤخرة سيارة برايس كما لو أنه غير موجود أو أنه سائقهما!

قال بصوت أجش: «أرجو ألا أكون أقود السيارة بسرعة كبيرة تزعجكما؟».

ونظر بسرعة عبر مرآة السائق، ليجد سابينا تنظر إليه بحاجبين مرفوعين سخرية. وكأنها تعي تماماً كم يشعر بالسخط.. وقحة!

قال ريتشارد لاتم دون اكتراث: «أبداً.. كنا نقول لتونا إننا لم نكن نعرف كم البلاد جميلة هنا».

رد برايس: «إنها بلاد شهر العسل».

اعترف لاتم بخفة: «أمير وأميرة وايلز يعتقدان هذا بالتأكيد».

لم يستطع برايس مقاومة الرد بسخرية: «لكن، انظر ماذا حل بزواجهما».

ضحك ريتشارد بصوت منخفض: «أنا أفكر بجزر الكاريبي لشهر عسلنا».

فكر برايس متوتراً: ولسوف يفعل هذا. فكرة قضاء سابينا شهر عسل في أي مكان مع ريتشارد، لم تحسن مزاجه أبداً.

ألقى برايس نظرة أخرى في المرآة الأمامية، فارتفعت معنوياته قليلاً حين رأى سابينا تنظر إلى خطيبها بالكثير من الدهشة، مما جعل برايس يظن أنها المرة الأولى التي تسمع فيها عن شهر عسل في جزر الكاريبي أو في أي مكان آخر. أدرك برايس أن هذا الحديث عن شهر العسل كان حتماً موجّهاً إليه.

بعد أن فهم برايس فحوى الحديث، استقام في مقعده. لقد تنبّه عندما قرر لاتم تغيير خططه والسفر معهم إلى سكوتلندة إلى وجود شيء مريب إلا أن هذا التصريح الأخير أكد شكوكه! ستكون الآن كل حركة وكل كلمة سيقولها لسابينا تحت المراقبة.

قال بصوت أجش غير مرحب: «هذه أملاك جدي».

ودخل بالسيارة إلى طريق داخلية طويلة تقود إلى القصر.

تمتمت سابينا بذهول بعد دقائق: «إنه جميل».

وعبرت السيارة بين قطيع غزلان وأصبح القصر الآن على مرمى النظر.

كان برايس معتاداً على الإقامة في قصر جده طيلة حياته، فهو بيت ثانٍ له. لكن هذا لم يكن يعني أنه لم يعد معجباً بجمال القصر الآسر، بحجارته العتيقة وأبراجه الرومانسية الضخمة التي ترتفع نحو سماء صافية.

قال ريتشارد لاتم بعد دقائق وهم يخرجون من السيارة المتوقفة: «أعتقد أن خطيبتي تتخيل نفسها «سيدة القصر»».

وبدا العجب واضحاً على وجه سابينا وهي تتطلع حولها.

نظر برايس إلى الرجل الآخر ببرودة، ورد ببرودة أكبر: «أعتقد أن جدي «مخطوب» تقريباً».

واستدار ليبتسم لسابينا، وسرورها الطفولي بما تراه حولها يسرّه أيضاً.

وضع ريتشارد لاتم ذراعه حول كتفي سابينا، بتملك خفيف: «إذا كنت تريدين قصراً.. أستطيع أن أشتري لك واحداً».

بدا وكأنه يدلل طفلة ويعدها بدراجة جديدة. لن تكون هذه نهاية

أسبوع سهلة. كم سيكون من المرضي أكثر لو أنه جاء بسابينا إلى هنا لوحدها. يشاركها هدوء البيت العائلي، ويجول بها في المكان، ويسير في الأراضي معها، ويُريها الساقية حيث تصطاد العائلة سمك السلمون.

قال برايس للرجل الآخر ساخراً: «هذا القصر ملك لعائلتي منذ قرون».

قالت سابينا بصوت أجش: «برايس على حق ريتشارد، مثل هذا الجمال لا يمكن إلا أن يكون موروثاً.. لا مشترى».

راقب برايس فم الرجل الآخر يشتد قليلاً. واضح أنه يعترض على الحديث.. أو على الأقل على ما قالته سابينا عنه.

قال برايس بخفة وهو يقود الطريق صعوداً على الدرجات الحجرية نحو الباب الأمامي الضخم من خشب السنديان.

ـ لست واثقاً ما إذا كنا ورثناه في الأصل. أعتقد أن أحد أسلافنا طالب به بعد أن شارك في غزوة قُتل فيها المالك الأصلي!

قال ريتشارد لاتم: «لطالما أحب الاسكوتلنديون الحروب.. أليس كذلك؟».

اعتبر برايس أن ملاحظة ريتشارد تحمل معنى مزدوجاً.. حسن جداً، إذا كان الرجل الآخر يعتقد أنه على وشك أن يحاربه من أجل سابينا، فهو مخطىء. فسابينا امرأة مستقلة عمرها خمس وعشرين سنة.. وليست من ممتلكات الرجلين ليتقاتلا حولها وكأنها جائزة!

ـ نحن معروفون بأننا نكره الساكسون الإنكليز غير المرغوب بهم.

كان الجد هو الذي أطلق الرد الجاف وهو يقف أمام الباب المفتوح، والنور يتدفق إلى الخارج مرحباً من داخل القصر.

ابتسم برايس وهو يتقدم كالعادة ليعانق أكبر قريب له.

ـ جدي!

وبّخه الجد وهو يتراجع: «إذن.. وصلت أخيراً أيها الولد. قد أقتنع

بأن أسامحك لتأخير العشاء..».

ولمعت عيناه بإعجاب وهو يستدير نحو سابينا.

ـ... إذا قدمتني إلى هذه السيدة الشابة الجميلة.

قدمت نفسها بصوت أجش: «سابينا».

ومدت له يدها. بدت جميلة، مثلما قال جد برايس لتوه، في فستان أسود ضيق، وشعرها يلمع كالذهب الصرف وهو يتطاير حول كتفيها ويصل إلى خصرها، وأضافت: «أخشى أن أكون من يجب أن تلوم على تأخرنا. لم استطع أن أقرر ما يجب أن أوضبه قبل أن أحضر لقضاء نهاية الأسبوع في اسكتلندة».

أبقى الجد يد سابينا في كفه، ودسها بأمان داخل ذراعه وهو يستدير ليدخلها إلى داخل القصر. وقال لها متوداً: «أنا واثق من أنك تبدين جميلة دائماً مهما ارتديت من ثياب».

نظر برايس إلى ريتشارد لاتم حذراً، لم يكن واثقاً أنه أعجب بنظرة السخرية التي بدت على وجهه وهو يراقب هبوغ يسير مبتعداً مع خطيبته، وقال بخشونة: «ساعد في إدخال الحقائب لاتم».

فتح صندوق السيارة، وهو متأكد من أنّ ريتشارد ليس معتاداً على حمل حقيبته.

كان جده يستخدم عدة خدم، والقصر يدار بكل كفاءة، لكن هذا لا يعني أن بإمكان ريتشارد لاتم توقع وجود من يخدمه، مهما كان معتاداً على ذلك!

توقف برايس في باب غرفة الجلوس بعد لحظات، بعد أن أوصل الحقائب إلى غرف النوم، وسمع سابينا تضحك مع جده. كانت ضحكة صبيانية خشنة، دون ارتباك أبداً.

قال ريتشارد لاتم، دون إنذار مسبق لتوقف برايس: «آسف.. لِمَ التوقف ماكليستر؟».

سبب توقف برايس كان سماعه وياللمفاجأة سابينا تضحك!

كان صوتاً رائعاً، عميقاً وطبيعياً، فيه القليل من الخبث الممزوج بالمرح لو أطلقت له العنان، كما هو الآن. وجنتاها محمرتان، عيناها مشرقتان، وهي تستمتع بحديثها مع جد برايس.

قال الجد بخفة: «حسن جداً.. لا تضيع الوقت بالوقوف في الباب يا ولد.. كن مفيداً وقدم لضيفينا الضيافة».

كان برايس معتاداً على معاملة جده له وكأنه لا يزال في السادسة من العمر. لكنه رأى أن سابينا تتمتع حقاً، وأن الابتسامة لا تزال تلوح على فمها في وعينيها وهي تنظر إليه.

أحس بأن شيئاً من التوتر الذي عرفه في طريقه إلى هنا بدأ يختفي، وأحس فجأة وهو يرى مدى ارتياح سابينا مع جده، أن نهاية الأسبوع هذه ستكون على ما يرام.. مع وجود ريتشارد لاتم أو غيابه!

قال برايس بجفاء: «ماذا ترغبين أن تشربي سابينا؟ لدينا القهوة والشاي، أم أطلب لك العصير».

اختار الرجال القهوة، أما سابينا فاختارت الشاي.

سألت ريتشارد وهو يقطع الغرفة ليجلس إلى جانبها على الصوفا: «أليس هذا رائعاً؟».

ردد دون حماس: «رائع».

نظرت إليه مقطبة.. من المستحيل ألا يحب هذا المكان.. إنه أجمل منزل رأته في حياتها. الأثاث كله أثري، تزينه مجموعات من الدروع الحربية القديمة، السيوف والخوذات، الجدران الحجرية العتيقة.

مازحت سابينا برايس الأسبوع الفائت حين اقترح المجيء إلى هنا ليرسمها. لكنها الآن، استطاعت أن ترى بالضبط لما وجد الفكرة مثيرة، فقد كان القصر ساحراً، وكأنه مأخوذ من قصة خيالية!

قال ريتشارد بينما برايس يعطيه فنجان القهوة: «المكان معزول هنا،

ولا بد أن تأمين التدفئة اللازمة له ثروة».

ضاقت عينا هيوغ ماكدونالد.

ـ العزلة تعني ألا ننزعج من المتنزهين المزعجين. وإذا اضطررت إلى احتساب الكلفة، فلن تستطيع العيش هنا.

أضفت ملاحظة ريتشارد العملية على الجو نوعاً من التوتر، لم يكن يخيم قبل دقيقتين، وأحست سابينا بهذا آسفة. كانت واثقة أن ريتشارد لا ينوي الإهانة، لكنها في الوقت ذاته أدركت أن حديثه يحوي نوعاً من الإهانة.

رد برايس بخفة وهو يجلس قبالتها: «ظننت أننا سنكون خمسة على العشاء هذا المساء، يا جدي؟».

نظر هيوغ إليه نظرة فولاذية: «ستصل ضيفتي غداً».

قال برايس: «أتشوق للقائها».

نظرت سابينا إلى كل منهما، وشعرت بأنها وريتشارد يجهلان موضوع الحديث. لكن لِمَ يعرفانه؟ فهيوغ وبرايس عائلة واحدة وعلاقتهما تمتد أبعد من هذا الأسبوع.

استدارت لتبتسم لهيوغ وهي تضع فنجان الشاي من يدها.

ـ هل من الممكن أن أصعد إلى فوق لأنعش نفسي قليلاً قبل العشاء؟ أشعر أن الغبار يكسوني بسبب السفر.

قال الجد ساخراً: «أرأيت برايس.. كنت أقول لك منذ سنوات بأن تشتري لنفسك سيارة لائقة».

كان المزاح على ما يبدو أمراً دائماً بين الرجلين. فسيارة برايس المرسيدس السوداء، من آخر طراز، وهي قمة في الفخامة.

هز برايس رأسه ووقف: «سأعامل هذه الملاحظة بالازدراء الذي تستحقه».

واستدار إلى سابينا: «سأوصلك إلى فوق وأدلك على غرفتك».

وَجُبَ عليها أن تدرك أن برايس هو الذي سيأخذها إلى غرفتها فوق. . ووبخت نفسها وهي تقف لتلحق به. . وجُبَ عليها أن تعرف. .

لقد وعدت نفسها قبل مغادرة لندن أن تفعل ما بوسعها كيلا تكون مع برايس كثيراً، وبعد دقائق من وصولها ها هي تجد نفسها لوحدها معه؟

قال ريتشارد بصوت ناعم: «لا تتأخري سابينا. . أنا واثق من أننا أخرنا السيد ماكدونالد عن عشائه بما يكفي هذا المساء».

قالت سابينا وهي تلحق ببرايس إلى الردهة: «السيد ماكدونالد».

غريب. . لم تجد أية صعوبة في مناداة الرجل العجوز بهيوغ منذ البداية. إلا أنه لم يعرض على ريتشارد الإلفة ذاتها. وقررت أن هذا ربما كان سهواً. على أي حال، كانت مع هيوغ طوال الوقت، والرجلان كانا ينزلان الحقائب ليوصلاها إلى الطابق الأعلى، وقد انضم ريتشارد إليهما لتوه.

حذرها برايس قائلاً: «حاذري من ضيق السلم».

جاء تحذيره في وقته. مما اضطر سابينا إلى التمسك بالحبل على الجدار، والذي وضع بدلاً من الدرابزين، وهما يهبطان السلم الضيق الملتوي.

قالت بذهول: «بعد لندن، يبدو هذا عالماً آخر».

استدار برايس وهو يقف على قمة السلم ينتظرها. ورد عليها بجفاء: «ستجدين (التمديدات الداخلية) مرضية تماماً».

أحست سابينا باحمرار خديها وهو يذكّرها بسخريتها في اليوم السابق. وقررت عدم التعليق. إلا أنها قررت أن تكون أكثر مرحاً في المستقبل في حديثها مع برايس. . هذا إذا تمكنت من أن تكون أكثر حرصاً مما هي عليه الآن!

لم تكن سابينا قد شاهدت من قبل غرفة نوم دائرية، غرفة مفروشة بفخامة وبألوان عاجية وذهبية دافئة كتلك التي أوصلها برايس إليها.

أثارت النوافذ الضيقة فضولها، وأسرعت إلى كل واحدة منها تلقي نظرة كاملة إلى المنظر المحيط. غابة من صوب وبحيرة من صوب آخر.

حدائق مسوّرة، وقطعان غزلان ترعى أمام القصر.

قالت تتنفس بذهول: «لو كنت أعيش في مكان كهذا، فلن أرغب أبداً في تركه».

فرد برايس بصوت أجش: «لو كنت تعيشين هنا، فلن أتركه أنا».

اكتشفت سابينا وهي تستدير أنه قريب جداً منها وكادت تلامس صدره، وجمدت، وخفّت أنفاسها.

وكأن الزمن توقف وهما ينظران إلى بعضهما في ضوء الغروب. كان وجه برايس واضحاً تماماً لها. بدت عيناه كزمردتين خضراوين لامعتين. . وكلماته الحميمة تتأرجح بثقل بينهما.

يجب أن توقف هذا. . يجب أن تكسر السحر. . إلا أن هذا هو بالضبط ما تشعر به، وكأنها مسحورة. . بوجود برايس، وبما يحيط بها.

أخيراً تمتم بصوت خشن: «من الأفضل أن أنضم إلى الآخرين».

ـ أجل. .

لكنها لم تندهش حين لم يتحرك ليفعل ما قال، ونبض عرق في فكه وهو يتابع النظر إليها. وبدا أن الجو بينهما يزخر بأحاسيس غير محكية.

قالت سابينا بصوت أجش: «عليك أن تنزل الآن».

وتنهد: «أجل».

لكنه لم يفعل. لم يتحرك مبتعداً، ولا مد يده ليلمسها، بل وقف كما هو.

أخذ نفساً متحشرجاً: «سابينا. .».

قاطعته بصوت منخفض: «اذهب برايس. . أرجوك!».

ضغط على فمه بشدة وهز رأسه: «أجل».

خطا إلى الوراء، ليضيف قبل أن يغادر غرفة النوم: «سأراك في الطابق الأسفل بعد بضع دقائق».

لم تتحرك سابينا. . لم تستطع أن تتحرك. بل وقفت تضم يديها أمامها

لتمنعهما من الارتجاف.. ما الذي يجري لها؟

إنها مخطوبة وستتزوج ريتشارد، وقد فعل لها الكثير لذا هي ممتنة له، وتعرف أنها بأمان معه. مع ذلك، اكتشفت لتوها ما قد يعرّض كل هذا للخطر.

لقد وقعت في حب برايس ماكليستر!

* * *

قال برايس بصوت أجش وهو ينظر إليها من فوق قماش الرسم الذي يعمل عليه: «حباً بالله يا سابينا.. استرخي. لقد تناولت الطعام هذا الصباح، ولن أبتلعك كحلوى بعد الفطور!».

كانا يعملان على اللوحة منذ نصف ساعة. وسابينا تقف متصلبة قبالته، ترتدي الثوب الذهبي الشفاف، مستديرة قليلاً وهي تنظر بأسى إلى خارج النافذة. كانت طيلة الدقائق الثلاثين مضطربة جداً.

ردت بجفاء: «لا أعتقد أنك على وشك أن تفعل.. المسألة فقط.. أنني أشعر بالبرد قليلاً».

البرد قليلاً! قد يصف برايس الأمر بأكثر من هذا. فمنذ انضمت إلى الرجال الثلاثة قبل العشاء في الأمسية السابقة، برهن تصرف سابينا كله عن برودة، وبقيت هكذا نحوه على الأقل.

ما كان يجب أن يطيل البقاء ليلة أمس بعد أن أوصلها إلى غرفة نومها.. لكنه لم يستطع أن يجر نفسه بعيداً.. فقد بدت مناسبة جداً في ذلك الموقع، مكتملة تماماً.

أمر واحد نتج عن برودتها الواضحة نحوه.. فقد أصبح ريتشارد لاتم، المتنعم بدفء اهتمام سابينا، رفيقاً مبهجاً تماماً أثناء العشاء، وأظهر الجانب المسترخي الفاتن منه، والذي يفضل برايس ألا يراه.. فهذا على الأرجح، هو الجانب الذي تحبه سابينا!

ومن المؤكد أن هذا لم ينجح في تشجيع برايس على حب ريتشارد لاتم.

كما شاهد جده يرمي الرجل الآخر بنظرات ضيقة خلال الأمسية أيضاً.

لم يحب جده ريتشارد كذلك، وهذا أبهجه قليلاً.. ربما لم تكن كراهيته في غير مكانها على أية حال!.. تمنى برايس أن ينتهي العشاء والليلة، كي يستطيع مجدداً أن يكون لوحده مع سابينا.

لكن بوجود سابينا في هذا المزاج البارد المتباعد، لم يكن الجو مرحاً البتة!

وقف بغتة، وقال بنفاد صبر: «قلبك في الواقع لا يميل إلى هذا، أليس كذلك؟ حتى من أجل لاتم».

أشاحت سابينا بوجهها: «لو استطيع فقط أن أقفل النافذة..».

- ولمَ لا؟

وسار عبر الغرفة ليصفق النافذة ويقفلها بعنف مكتوم. وأخذ نفساً عميقاً مهدئاً قبل أن يستدير إليها، مدركاً أن توتره يتحول حاداً كتوترها.. وسألها بلطف: «ما الأمر سابينا؟».

خطت خطوة إلى الوراء: «أنا.. أنت.. لم.. تشرح لي أن الغرفة التي تريد أن ترسمني فيها، هي غرفة نومك!».

واحمر خداها بشدة، ولم يعرف برايس أكان سبب الاحمرار غضباً أم إحراجاً.

هكذا هو الأمر إذن! هذا الصباح على الأقل.. وهز برايس كتفيه.

- هذه ليست مجرد غرفة نومي حين أكون هنا. إنها مرسمي كذلك!

كان هذا واضحاً من القماش واللوحات المنتشرة في الغرفة. ولو أن الأمر بدا غريباً قليلاً بوجود سريره فيها.. ولم يفكر بهذا من قبل، لأنه لم يُدخل امرأة من قبل إلى «مرسمه» ولأي سبب من الأسباب.

التوى فمه سخرية: «لن يُعجب هذا لاتم.. هه؟».

لمعت عينا سابينا بشرار أزرق قاتم وردت بحزم: «لا يعجبني أنا».

- ولمَ لم يعجبك؟

تحركت بحدة عبر الغرفة لتحدق إلى خارج النافذة التي تطل على

البحيرة: «المكان هادىء جداً هنا...».

نظر برايس إليها بعينين ضيقتين وقال بعناد: «لم تردي على سؤالي..».

نظرت سابينا إلى الخلف نحوه، وقد لان العبوس من بين حاجبيها.. وقالت بنعومة: «لأنني لا أعتقد أن السؤال بحاجة إلى الرد».

أخذ نفساً حاداً: «سابينا..».

قالت بخفة: «إلى أين أخذ جدك ريتشارد هذا الصباح؟».

إلى أعلى الجبل، وسيدفعه إلى الأسفل من هناك.. ولن يهتم برايس! ولو أنه لا يعتقد ولو للحظة واحدة أن جده قد يفعل شيئاً كهذا.

ـ أعتقد أنهما ذهبا في نزهة في السيارة حول القصر.. لا تقلقي سابينا.. أنا واثق من أنك سترين خطيبك قريباً.

هزت رأسها وأكدت له: «لست قلقة».

لم يكن هذا ما يقلقها على أي حال.. وقطب برايس للفكرة. إنها مضطربة بسبب شيء آخر.

قال بلطف: «سابينا، إذا لم تقولي لي ما بك، فكيف يمكنني أن أساعدك؟».

نظرت إليه نظرة غير المصدق: «لا أذكر أنني قلت إن هناك شيئاً! ولا أذكر كذلك أنني طلبت منك المساعدة!».

رد بنفاد صبر: «لكن من الواضح أنك تحتاجين إلى مساعدة. فلِمَ لا أساعدك أنا؟».

هزت سابينا رأسها: «ليس لدي فكرة عمّا تتكلم برايس.. ولو كان لدي أي قلق.. فلديّ خطيبي، وأمي.. يمكنني أن أناقش معهما ما هو ضروري».

وليس مع غريب سمح لنفسه بأن يعانقها مرتين.. هذا ما كانت كلماتها توحي به بوضوح!

هز كتفيه: «لدي انطباع أن ليس لك مثل هذه العلاقة مع أمك.. هل

اتصلت بها على فكرة، لتقولي لها إنك تقضين نهاية الأسبوع في اسكتلندة؟».

ضغطت سابينا على فمها بشدة وبنفاد صبر لهذا التحول المفاجىء للحديث، وصاحت: «أنت ملحاح جداً برايس».

رفع حاجبين أسودين، بإصرار: «حسن جداً؟».

ردت بتوتر: «لا.. لم أتصل».

ـ ولِمَ لم تفعلي؟

هزت كتفيها: «اسكتلندة بلاد واسعة..».

ـ أين تعيش أمك؟

والتوى فمه وهي تسمّي قرية لا تبعد سوى خمسة أميال.

ـ سابينا..

تحركت بنفاد صبر: «هل يمكن أن تترك الأمر برايس؟».

وعادت إلى مكانها في الغرفة، تضيف: «اعتقدت أننا جئنا إلى هنا لترسمني».

ـ أستطيع الاتصال بها بنفسي.. لا يمكن أن يكون هناك الكثيرون باسم سميث في المنطقة.

نظرت إليه بغضب: «وبإمكانك كذلك أن تهتم بشؤونك الخاصة!».

رفع يديه كأنه يدافع عن نفسه: «أنا أحاول المساعدة فقط سابينا».

ـ لقد قلت لك لتوي إنني لا أحتاج إلى مساعدتك.

وأكملت بكراهية: «علاقتي مع أمي هي شأني الخاص برايس، وليست شأنك».

رد بنعومة: «أو شأني.. كما هي الحالة..».

قاطعته رافعة يديها بقرف: «أوه.. هذا لا جدوى منه!».

وتقدمت إلى الباب تقول بحدة: «أحتاج إلى هواء منعش، يمكننا أن نكمل هذا فيما بعد».

كانت لهجة صوتها لا تتحمل المناقشة.

www.elromancia.com

كانت لهجة عرف برايس أن عليه ألا يعترض طريقها!

ماذا يقول القول المأثور: يجب الحذر من البحر الهادىء..؟ لمعظم الوقت، كانت سابينا تتمالك نفسها ببرودة، وتبدو غير مضطربة.. لكنها أظهرت له في هذه الدقائق الأخيرة أن هناك جانباً آخراً منها.. لو تم استفزاز سابينا، فستخرج إلى القتال!

من جهة أخرى.. قرر برايس أن هذا أمر أحبه.

يا لها من كارثة! ويا لها من فوضى! أخذت سابينا تتمتم بهذا لنفسها وهي تغير الثوب الذهبي لترتدي قميص زهري اللون وبنطلون، وهي تنوي الخروج لتتنشق بعض الهواء المنعش.

استقامت بعد أن ارتدت حذاءها، وتنفست بعمق، ماذا ستفعل؟ ماذا يمكنها أن تفعل؟

إنها مخطوبة لريتشارد. رجل لم يُظهر لها سوى اللطف والاهتمام.. وهي تحب برايس، رجل.. رجل ماذا؟ رجل أظهر لها اللطف كذلك، والاهتمام.. لكن على طريقته الخاصة.

لكن برايس أظهر لها شيئاً آخر.. قدّم لها اكتشافاً لقدراتها الخاصة على الحب، والتي، إلى أن التقت به، لم تكن تعرف بوجودها. كيف يمكن لهذا أن يحدث لها؟

في شهر تشرين الثاني الماضي، كانت متكدرة بعمق وثقتها بنفسها ممزقة، بسبب ما حصل. كان ريتشارد يومها مجرد صديق تتناول العشاء معه بعض الأحيان.. ورأى كربها الواضح، فتقدم باقتراحه، ولمصلحة مشتركة.. أن تصبح سابينا تحت حماية ريتشارد.. ولأن فكرة ظهوره مع عارضة أزياء شهيرة عالمياً كانت تفيده، أصبح الاثنان مخطوبين. ولم يلزم سابينا وقت طويل لتقرر أنها أُعجبت بالفكرة.

لكنها لم تكن تدرك بعد أن وصلت إلى ذلك التفاهم مع ريتشارد، أنها قادرة على الحب بالطريقة التي تحب فيها برايس الآن. ولو فكرت للحظة أنها

يمكن أن تشعر هكذا نحو رجل آخر، لما قبلت عرض ريتشارد اللطيف.

ودارت الأفكار ذاتها مرات ومرات في رأس سابينا وهي مستلقية على السرير في الأمسية السابقة عاجزة عن النوم، تتساءل عما ستفعل الآن.

وأدركت شيئاً.. يجب أن تخبر ريتشارد عن مشاعرها. وعرفت أنها لن تستطيع المضي بالخطوبة، وهي تحسّ بهذه المشاعر، وأنها لن تشاركه منزله وتتشوق لرجل آخر.

ولم يكن لديها فكرة كيف ستقول هذا لريتشارد! لو كانت تعرف، حتى ولو خمنت جزئياً، كيف ستغير نهاية الأسبوع هذه حياتها، لهربت راكضة بأسرع ما تستطيع وإلى أبعد ما تستطيع، في الاتجاه الآخر.

كان بقاؤها وحدها في غرفة نوم برايس.. أو مرسمه، مع مشاعرها التي اكتشفتها حديثاً نحوه، عذاباً مكتملاً.

وقفت، متعبة حتى من رفقة نفسها الآن. من السهل جداً الجلوس والتفكير وهي وحدها.

ستذهب إلى تلك الحدائق، التي تشاهدها من نافذة غرفة نومها.. إلى أي مكان، يبعدها عن برايس! وربما حين تنهي نزهة متكاسلة عبر الحدائق، سيكون هيوغ وريتشارد قد عادا ومشاعرها لم تعد مشوشة هكذا. فهي تعرف أن ريتشارد لن يكون مسروراً مما ستقوله له.

أوه.. اللعنة على برايس ماكليستر.. كم تتمنى لو لم تلتقه!

ـ خارجة لتتمشي؟

استدارت سابينا بحدة بعد وصولها إلى أسفل السلم، لتجد نفسها أمام هيوغ ماكدونالد وهو يخرج من غرفة في نهاية الردهة.

وأكمل هيوغ يرد على سؤال كانت سابينا على وشك أن تطرحه: «لقد استعار ريتشارد السيارة للذهاب إلى القرية وشراء صحيفة».

ابتسمت له بتسامح: «يكره أن يفوته القسم الاقتصادي ولو ليوم واحد».

هز هيوغ رأسه: «هذا ما قاله. إذا كنت خارجة لتتمشي، فهل تحبين أن أرافقك؟».

سنحب رفقته.. أي شيء لتتهرب من أفكارها المعذبة. لكن..

قالت معتذرة: «أنا واثقة من أننا أزعجنا روتينك اليومي بما يكفي ليوم واحد».

رد العجوز بغير اهتمام وهو يبتسم: «مطلقاً، رجل في مثل سني لا يمانع أبداً في أن تزعجه امرأة جميلة!».

ضحكت سابينا..

ـ في هذه الحالة..

وشبكت ذراعها بذراعه: «سأحب أن ترافقني في نزهتي».

ما إن أصبحا في الخارج حتى سألها هيوغ: «إلى أين تحبين أن تذهبي؟».

قالت تعترف دون الإحساس بالذنب: «أخاف المشي في الحدائق المسورة منذ قرأت عن فتاة عادت إلى الحياة. قرأت ذلك في قصة وأنا لا أزال طفلة».

نظر هيوغ إليها وكان لا يبدو في الثمانين من العمر. وقال لها متآمراً: «أظنني قد قرأت الكتاب عينه» ثم أضاف بنبرة حزينة: «رغم أننا لم نعد نولي تلك الحدائق العناية اللازمة، فقد كانت زوجتي هي التي تهتم بها».

أيقنت سابينا أنه أرمل منذ سنوات وهمست بنعومة: «يا للأسف».

أجابها مفكراً: «نعم، في الحقيقة يا سابينا أنا مسرور لقضائي هذا الوقت معك بمفردنا». ورمقها بنظرة مازحة: «أخبريني من وجهة نظرك كامرأة شابة، أتعتقدين أن عائلتي ستوافق على ارتباطي مجدداً إذا أخبرتها أنني مغرم رغم سني هذا؟».

فتحت سابينا عينيها مندهشة من مدى خصوصية السؤال: «أنا لست واثقة.. أنا لا.. أوه..».

ضحك هيوغ لدهشتها الواضحة وهز رأسه: «آسف.. لم أقصد أن أصدمك».

أكدت له سابينا: «لم تصدمني».

وأحست بالحرج لغباء ردة فعلها.

ـ أردت فقط رأي شخص آخر قبل الخوض في الموضوع مع عائلتي..

توترت أعصاب سابينا، وسبقت هيوغ إلى أول حديقة مسوّرة. سحرت على الفور بغزارة الزهور البرية التي هاجمت بمنظرها وعطرها أنف سابينا وأحاسيسها.

سأل هيوغ: «ما رأيك إذن؟».

شعت عيناها بهجة وهي تتطلع حولها: «إنها جميلة! كما تخيلتها تماماً..».

صحح لها هيوغ بجفاء: «كنت أشير إلى حديثنا السابق».

والذي تجهل تماماً كيف ترد عليه! فهيوغ وبالرغم من سنه لا يزال رجلاً جذاباً.. فلِمَ لا يقع في الحب، ولو في هذا العمر المتقدم؟ لكن، من ناحية أخرى، ونظراً لرد فعلها على تورط أمها مع رجل، تستطيع أن ترى كيف ستكون عائلة هيوغ أكثر من مندهشة لهذا الخبر.

تمتم هيوغ ساخراً من نفسه: «أستطيع أن أرى الحيرة بوضوح في عينيك».

ضحكت سابينا بعمق: «أبداً.. لقد أوقعتني في نوع من الحيرة.. وهذا كل شيء.. أترى.. لقد واجهت شيئاً لتوي.. شيئاً مشابهاً في حياتي، وفيما يخص أمي الأرملة».

نظر هيوغ إليها بعينين ضيقتين: «و..؟».

كشرت، واعترفت بأسف: «لم تكن ردة فعلي جيدة، كما أخشى».

هز هيوغ رأسه: «آه».

تنهدت سابينا: «حقاً.. نصيحتي الوحيدة لك هي ألا تأخذ بعين الاعتبار ردة الفعل الأولى».

رفع حاجبين فضيين: «أتعنين أن ردة فعلك الأولى لم تكن جيدة فيما

خص أمك؟».

ضحكت وهي تخجل من نفسها: «أعني أن ردة فعلي كانت فظيعة».

على أية حال، هل إيجاد أمها لشخص يشاركها حياتها الموحشة أمر فظيع؟

بدأ هيوغ يسأل ببطء وفضول: «أخبريني سابينا.. ما رأيك بحفيدي؟».

اتسعت عيناها بسبب اتخاذ حديثهما منحىً جاداً، وسألت تؤخر الاعتراف: «أي واحد منهما؟».

ـ وهل التقيت بلوغان وفيرغوس؟

ـ فيرغوس فقط. التقينا..

وصمتت. ماذا سيظن هذا الرجل المسن لو قالت له إنها تناولت العشاء مع ماكلاود؟

ـ لقد رأيت لوغان.. يشبهان بعضهما، أليس كذلك؟

هز هيوغ رأسه: «إنهما متشابهان، كل واحد منهما ماكدونالد. ولقد تأكدت من هذا».

كان من الواضح أنه فخور بكل منهم. ولأسباب وجيهة..

أكمل هيوغ بإصرار: «لكنك لم تردي على سؤالي عن برايس سابينا؟».

تجنبت الرد ممازحة: «أعتقد أن برايس قد ورث جرأته عن جده!».

ضحك الرجل المسن بسرور: «لقد ربيته على الإيمان بأن الصدق هو دائماً أفضل السياسات.. حتى لو انتهى الأمر ببعض العداوات.. وبالحديث عن الصدق، سابينا..».

ناداهما ريتشارد من باب الحديقة المفتوح مقاطعاً ما كان سيقوله هيوغ: «مرحباً».

كانت سابينا أكثر من ممتنة للمقاطعة.. فهي لم تكن تعرف بمَا ستجيب على سؤال هيوغ لو أنه أصر على الأسئلة المتعلقة بمشاعرها نحو برايس!

معرفتها بحبها لبرايس كانت لا تزال جديدة، والموقف برمته قاس جداً على مشاعرها المعذبة، حتى أنها لا تريد التفكير بالأمر الآن.. ناهيك عن التكلم عن برايس!

ولو أنها لم تكن تشعر بأنها مستعدة بعد لأن تواجه ريتشارد في هذه اللحظات.

قال ريتشارد بخفة: «أنظرا من قابلت في الخارج».

وتنحى جانباً ليكشف عن شخص كان يقف خلفه في باب الحديقة.

ووجدت سابينا نفسها تنظر إلى أمها!

ماذا..؟

نظرت سابينا إلى أمها مقطبة.. ومرتبكة تماماً أمام مفاجأة ظهورها هنا، من بين كل الأماكن.. لو أن برايس تجرأ على تنفيذ تهديده والاتصال بها..

قال هيوغ بصوت أجش: «جوان..».

ماذا..؟

استدارت سابينا تنظر إليه. فرأت هيوغ مرتبكاً لما آلت إليه الأمور وقد تورّد خداه وظهر القلق في عينيه الزرقاوين القاتمتين، ثم أدركت سابينا الحقيقة. كان هيوغ يحدثها منذ قليل عن وقوعه في الحب. وقد أخبرتها أمها عندما زارتها في لندن الأسبوع الفائت أمراً مماثلاً.

هيوغ ماكدونالد.. جد برايس، هو الرجل الجديد في حياة أمها!

***

٨ ـ الجحيم هو الحب!

ـ سابينا.. أعتقد أنك تبالغين في رد فعلك..

استدارت بقسوة نحو برايس الذي يجلس إلى جانب سريرها يراقبها وهي ترمي الملابس بعشوائية، داخل الحقيبة.

ـ أعتقد أن أفضل شيء تفعله هو ألا تقول كلمة واحدة في الموضوع.

وحملقت فيه بغضب، كانت عيناها تلمعان بلون أزرق قاتم، وجسمها كله متوتر بغضب مكبوت. كان قد وصل إلى الطابق الأسفل منذ دقائق فقط، وفي الوقت المناسب ليرى سابينا وهي تدخل عبر الباب الأمامي، وجناحي الغضب المعتادين يظهران على خديها الشاحبين.

ـ ماذا هناك..

قال الجد بخشونة وهو يلحق بها: «دعها برايس».

ـ لكن..

ـ قلت دعها!

ووقف الرجلان يراقبان سابينا قبل أن تختفي عند زاوية السلم.

استدار برايس نحو جده: «ماذا يجري بحق السماء؟».

قد لا ترتاح سابينا لوجوده، لكنها أحبت جده على ما يبدو ليلة أمس.

وسأل بلهجة اتهام: «ماذا فعلت لسابينا؟».

لمع شيء في نظرة الجد.. إحساس أخفاه بسرعة، ولو أن تعبيره بقي متجهماً: «لم أفعل لها شيئاً يا ولد..».

وقطب: «على الأقل.. لا شيء متعمد لجرحها وتكديرها».

قال برايس بحدة: «يبدو أنك نجحت في الأمرين معاً».

وحار بين رغبته في الجري خلفها، وحاجته ليقف هنا ويسمع ما سيقوله جده.

رفع الجد يدين مدافعتين، وهز رأسه: «بدا لي هذا تدبيراً سماوياً حين قلت لي إنك ستأتي بسابينا إلى هنا.. لكن، لسوء الحظ، وقبل أن يتاح لي الوقت لأشرح الموقف لها..».

قاطعه برايس ببرود: «مهلك قليلاً يا جدي.. ما هو التدبير في مجيئي بسابينا إلى هنا..؟».

وقطب قلقاً من سماع الرد.

قال صوت أنثوي هادىء من جهة الباب: «أعتقد أن من الأفضل أن أرد عن هذا بنفسي».

استدار برايس عابساً.. ليرى امرأة صغيرة الجسم شقراء الشعر، ربما في الستين من عمرها، بالرغم من شعرها الذي يصل إلى كتفيها، ووجهها الجميل وجسمها النحيل.. عرف برايس أنه لم يرها من قبل. مع ذلك..

راح ينظر إليها مدركاً أن هناك شيئاً مألوفاً في عينيها الزرقاوين القاتمتين، وفي خديها المرتفعين.. وبشرتها العاجية..

كانت سابينا قد قالت إنها تشبه والدها، مع ذلك، فهذا دليل واضح على أن ما قالته ليس صحيحاً تماماً.

أخذ برايس نفساً خشناً: «فهمت».

رفعت المرأة رأسها من جانب واحد: «هل فهمت؟».

هز برايس رأسه ببطء، واستدار إلى جده: «أعتقد هذا.. لِمَ لم تقل لي؟».

أصبح الأمر الآن أكثر من واضح فوالدة سابينا هي «صديقة» جده.

ما من عجب أن سابينا تكدرت!

www.elromancia.com

تحرك الجد ليضع ذراعاً واقية حول كتفي المرأة التي عرفها برايس كوالدة سابينا وقال بصوت أجش: «لم تستمتع جوان الاسبوع الماضي حين حاولت إخبار سابينا عن علاقتنا. يبدو أنكم أنتم الشبان تعتقدون أن الوقوع في الحب أشبه بلعبة»!

تكلم ريتشارد لاتم ببرودة شديدة من خلفهم وسأل بكبرياء: «هل سابينا فوق؟».

رد برايس متجهماً: «أجل.. إنها في الطابق الأعلى».

هز ريتشارد لاتم رأسه بعجرفة: «سابينا وأنا سنغادر قريباً. وسنحتاج إلى سيارة أجرة توصلنا إلى أقرب مطار».

قال برايس ببرودة مماثلة: «سأوصلكما».

نظر ريتشارد لاتم إليه بسخط: «لا أعتقد هذا».

واستدار إلى الجد: «لكن إذا سمحت أن تهتم بطلب سيارة أجرة..؟».

وهز رأسه دون اكتراث ولحق بسابينا على السلم.

اشتعل برايس غضباً.. فريتشارد تصرف وكأن الجد عامل مأجور لديه. ووجد نفسه يريد أن يلحق بالرجل الآخر ويلكمه على وجهه!

قالت جوان سميث بخشونة: «ريتشارد لاتم لا يحبني.. لقد كنت جريئة أكثر من اللازم حين أعطيت رأيي بخطوبته من سابينا».

استدار برايس بهدوء: «في هذه الحالة.. لقد أحببتك كثيراً!».

ضحكت جوان ضحكة تشبه ضحكة سابينا كثيراً، وأحس برايس بألم في صدره لمجرد سماعه هذه الضحكة.

سابينا..

بِمَ تشعر الآن؟ والأكثر دقة، بمَ تفكر؟

قال للمسنين: «يجب أن أصعد إلى فوق وأتكلم مع سابينا».

قالت الأم بحزن: «ستضيّع وقتك. في الأشهر الأخيرة راقبت ابنتي الجميلة، الواثقة من نفسها تنقلب إلى شخص آخر بالكاد أعرفه».

وهزت رأسها بأسف.

نظر برايس إليها مقطباً.. يرغب في متابعة الموضوع. لكن، في الوقت ذاته يعرف أن عليه التحدث إلى سابينا.. الآن.

قال برايس لجوان بحدة: «لا تنسي هذه الفكرة، ولا تذهبي قبل أن أتحدث إليك مرة أخرى».

وأخذ يصعد السلم، درجتين في كل خطوة وهو يتكلم.

أكد له الجد بحزم: «جوان لن تذهب إلى أي مكان».

لم يكن برايس واثقاً ما إذا أحس بالارتياح أم خاب أمله حين دخل غرفة نوم سابينا بعد دقائق، ليجدها لوحدها.

ناداها مجدداً: «سابينا. أيزعجك حقاً أنّ جدي وأمك أصبحا.. صديقين؟».

لم يكن لديه فكرة إلى أي مدى قد تصل تلك العلاقة، بين العجوزين.. حتى ولو كانا ينويان قضاء العطلة معاً في باريس.

عاودت سابينا رمي الثياب في الحقيبة: «قلت لك، لا أريد التحدث في المسألة!».

قال برايس متحدياً: «أهذه طريقتك عامة في التعامل مع الأحداث؟ أتدفنين رأسك في التراب وتتمنين لو يرحل الجميع»؟.

نظرت إليه ورددت: «الآن».

أضاف: «تقول أمك إنك تغيرت منذ خطبت إلى لاتم».

أجابت سابينا بعصبية: «حقاً! قلت لك إن أمي وريتشارد لا يستلطفان بعضهما البعض».

كانت تلمّح إلى أن أمها تحكم مسبقاً على ريتشارد، إلا أن برايس عجز عن نسب مثل هذا الاتهام للمرأة التي رآها لتوه واقفة في أسفل السلم.

كان لا يزال متعجباً من أن جده وأم سابينا قد التقيا وأغرما ببعضهما. ففرص حصول مثل هذا الأمر شبه معدومة. لكن أكان الأمر أكثر غرابة من

شعوره نحو سابينا؟ أضف إلى ذلك، فعندما علم برايس أن والدة سابينا هي المرأة الجديدة في حياة جده، تلاشى شعوره السابق برفض هذه العلاقة.

لكن لسوء الحظ، لم يكن شعور سابينا مماثلاً. أيعود السبب في رفضها إلى عدم ملاءمة جد برايس لأمها أو لأن هيوغ هو جد برايس؟

ـ امنحيها فرصة يا سابينا فكلاهما راشد.

وقطع حديثه عندما نظرت سابينا إليه بعينيها الواسعتين:

ـ ألا تفهم أنني عاجزة عن ذلك الآن.

تفرس برايس بها عن كثب، أيرى دموعاً في عينيها، تتجمع على رموشها وتهدد بالسقوط؟

وقف بغتة.. ومد يده ليأخذها بين ذراعيه.

ـ سابينا! سيكون كل شيء على ما يرام، وسترين.

وضم رأسها إلى كتفه.

لن يكون الأمر على ما يرام مرة أخرى! ما السبيل إلى ذلك وقد وقعت في حب برايس بينما هي مخطوبة لريتشارد. وها هي الآن تجد أمها على علاقة بجد برايس؟ تلك العلاقة وحدها كفيلة بأن تجعل من المستحيل عليها أن تُبعد نفسها عن برايس.. أو عن عائلته!

سألها برايس بصوت أجش قلق: «سابينا؟».

إنها تحب هذا الرجل.. فماذا ستفعل؟

نظر برايس إليها متفحصاً هاتين الجوهرتين الخضراوين، وأملت ألا يستطيع أن يرى ما في قلبها!

أخيراً كرر بصوت أجش: «سابينا..».

وضمّها أكثر إلى صدره قبل أن يخفض رأسه ويعانقها.

وتحركت ذراعاها إلى الأعلى حول كتفيه، وهي ترد له عناقه. وأخذت الأحاسيس تتحرك مع تزايد السرور فيها.

تقبل برايس الدعوة، وتنهد تنهيدة منخفضة، وازداد عمق عناقه.

تعلقت سابينا بكتفيه العريضين، فراح جسمها ينحني غريزياً ليلتصق بقساوة جسمه وأحست بساقيها تضعفان والمشاعر الحارة تكتسح جسمها كله. تأوهت بشوق «برايس..؟».

تمتم قرب أذنها: «لا بأس في هذا سابينا..».

واشتدت ذراعاه حولها بشكل مؤلم.

ـ أنا..

وصمتت بعد أن سمعت صوتاً آخر عرفته، حتى في حالتها المشوشة. ولم يكن صادراً عنها ولا عن برايس.

تراجعت بسرعة عن برايس، تدفعه عنها، وبالكاد تمكنت من تحرير نفسها من بين ذراعيه والابتعاد مع انفتاح باب الغرفة. اكتشفت وهي تنظر نحو الباب بحدة أن ريتشارد واقف هناك.

خطيبها!

أحست بخديها يلتهبان بألم وهي تنظر مذنبة إلى الرجل الذي تضع خاتمه في إصبعها.. وتساءلت عما إذا عرف ريتشارد، عما إذا خمن. عما إذا كان يبدو عليها أو على برايس بأنهما ومنذ ثوانٍ كانا يتعانقان.

استحالت معرفة شيء عن مشاعر ريتشارد من تعبيره الجامد وهو ينظر إليهما. عيناه الزرقاوان ضيقتان متأملتان، دون أن تشيرا إلى أي اتهام.

رفع حاجبيه الأشقرين وسأل: «ألا زلنا سنغادر؟».

هزت سابينا رأسها بسرعة: «أجل».

وتحركت لتقفل حقيبتها. وأبقت طوال الوقت نظرها بعيداً عن برايس وهو يقف متوتراً على بُعد قدم منها، ويداه مشدودتان إلى جانبيه.. لو تجرأ ريتشارد على قول شيء...!

ـ في هذا الظرف سيد ماكليستر، أعتقد أنه من الأفضل ألا نستمر في رسم اللوحة، على أية حال.

ردد برايس بخشونة: «ظرف؟».

www.elromancia.com

هز ريتشارد كتفيه: «سابينا متكدرة تماماً.. لصداقة أمها مع جدك».

التفت برايس نحوها: «هل هذا صحيح؟».

رفعت سابينا رأسها ببطء، لتلتقي على مضض بنظرة برايس المتسائلة: «أنا.. أنا لست واثقة كيف أشعر حول المسألة في الوقت الحاضر».

كان ردها صادقاً.. فهي بحاجة إلى وقت وفسحة لتتقبل الواقع قبل أن تعرف ما تشعر به.

وأضافت بحزم: «لكنني أوافق ريتشارد على أنه من المستحسن أن نغادر الآن وأن ننسى كل ما يتعلق بهذه اللوحة أيضاً».

رق فم برايس غضباً: «لماذا؟».

لأنها لا تجرؤ على أن تكون لوحدها في غرفة معه! لأنها في كل مرة تنظر فيها إليه تتقدّ مشاعرها نحوه دون خجل، دون تحفظ، وبالكامل! لأنها تحبه!

ولأن لا جدوى من رسم اللوحة وهي ستنهي خطوبتها من ريتشارد فمن الأفضل نسيان كل شيء عن اللوحة أيضاً.

ثم أضافت: «كما تعلمان، فأنا لم أرد يوماً أن أحصل على هذه اللوحة».

رد برايس: «نعم، فأنت قمت بذلك إرضاء لخطيبك فحسب!».

ردت سابينا بنبرة متحدية: «هذا صحيح».

كانت نظرتها تتحدى برايس وهي تعرف أنه عاجز عن التصرف.

زمّ برايس فمه ازدراء: «أنا واثق من أن هناك الكثير من السبل الأخرى التي تستطيعين بها إرضاء خطيبك».

ردت سابينا ببرودة، دون أن تعجبها رنة صوت برايس أبداً: «وأنا واثقة من هذا».

قال ريتشارد ببرودة: «أرسل لي فاتورة بقيمة الوقت والمواد التي استخدمتها».

قست العينان الزمرديتان لتصبحا حجرين غاضبين من نور مضيء،

وقال برايس: «لن يكون هذا ضرورياً».

ـ لكنني أسدد دائماً ما عليّ يا برايس.

صاح برايس: «قلت لك إنسى الأمر».

راقبت سابينا بقلق تبادل التهجمات بين الرجلين، ونظرت إلى برايس الآن. كان من الصعب أن تصدق أنهما كانا هنا منذ دقائق في أحضان بعضهما، ضائعين في عالم آخر.. بعيداً عن كل كائن حي! وكل شيء آخر منسي، وبدا برايس الآن متباعداً وبارداً.. وهي..

لم تكن سابينا تعرف كيف تبدو.. كانت تعرف فقط أن عليها الخروج من هنا، بعيداً عن برايس. بعيداً عن السحر الذي ألقاه عليها في هذا المكان، وتعود إلى لندن حيث تعرف من هي وإلى أين هي متوجهة.

سألها ريتشارد عن عمد: «أأنت مستعدة للمغادرة الآن سابينا؟».

وبدا واضحاً أنه ضجر من حديثه مع الرجل الآخر.

ـ أنا مستعدة.

ومدت يدها لتنزل الحقيبة المقفلة إلى الأرض.

ـ أنا واثق من أن برايس لن يكون عديم التهذيب بحيث يتركك تحملين حقيبتك على السلم، أليس كذلك سيد ماكليستر؟

والتقط ريتشارد حقيبته متحدياً.

قال برايس بحدة: «لا».

وأراح سابينا من حملها فوراً، ولمست أصابعه الباردة كالثلج أصابعها لوقت قصير.

ـ أعتقد أن جدي قد كلف مدير الأملاك بإيصالكما إلى مطار «ابردين».

سبقت سابينا الرجلين إلى الأسفل متلهفة إلى أن تذهب. ربما ستتمكن من معرفة حقيقة مشاعرها نحو برايس ما إن تبتعد عنه.. وقد تتمكن من معرفة ما إذا كان شعورها هذا حباً أو أنه شيء آخر.

لكن لا شيء من هذا سيغير حقيقة أنها مضطرة إلى إنهاء خطوبتها من

ريتشارد.

* * *

غضب برايس أبقاه صامتاً وهو يلحق بالاثنين على السلم، شاعراً بالعجز نحو سابينا.

كيف يمكنها أن تغادر مع ريتشارد لاتم بعد عناقهما ؟ ولقد استجابت له.. إنه واثق تماماً من هذا.

مع ذلك.. ستغادر مع لاتم.

كان جيف، مدير الأملاك، ينتظر في السيارة.

قال برايس بصوت خشن، وسابينا تتحرك لتدخل المقعد الخلفي للسيارة: «مهما كانت مشاعرك الآن سابينا.. أعتقد أن عليك على الأقل وداع أمك.. وشكر جدي على ضيافته كذلك».

احمر خداها من التوبيخ الواضح، واستقامت قائلة: «طبعاً».

قال برايس لريتشارد وهو يرافق سابينا عائدين إلى القصر: «يكفي أن تقوم سابينا بالواجب، ما من داع لكليكما».

أكدت سابينا وريتشارد ينظر إليها متسائلاً: «لا بأس في هذا ريتشارد، لن أغيب أكثر من بضع دقائق».

ضغطت على ذراعه تطمئنه. أما برايس فكره كثيراً حركتها هذه، فهو عاجز عن تحمل فكرة ملامسة سابينا للرجل حتى عرضاً، فكيف..

هذا جحيم بحد ذاته! الجحيم هو أن تعرف أن المرأة التي تحبها، تعيش مع رجل آخر!

فهو يحب سابينا، وقد عرف هذا في وقت سابق حين لم يتمكن من تركها تغادر دون ضمها إليه للمرة الأخيرة.

لم يعرف كيف ومتى حدث هذا.. لا يعرف سوى أنه أحب كل شيء يتعلق بها: جمالها، تأثيرها، دفئها، بحة صوتها، طريقة تحركها..

وإخلاصها لرجل لا يستحق أبداً أن يقبّل واحدة من قدميها الجميلتين!

كانت فكرة عدم رؤية سابينا مرة أخرى تسبب له ألماً مبرحاً.

لقد عرف الآن أن الجحيم هو حب ما لا يمكن الوصول إليه!

قال لسابينا بصوت أجش وهي تتردد في الردهة: «سيكونان في غرفة جلوس جدي الخاصة».

أجفلت للعدوانية في صوته: «برايس، أنا..».

وبللت شفتيها: «.. أنا أحتاج إلى قليل من الوقت كي.. كي أتكيف مع.. صداقة أمي وجدك».

وتطلعت إليه متوسلة: «كانت صدمة لي».

نظر إليها برايس ببرودة.. يعرف أنه حتى هذه اللحظة لا يجرؤ على النظر إليها بطريقة أخرى.. فلو أنه نظر بغير هذه الطريقة لما استطاع أن يمنع نفسه من أن يعترف لها بمشاعره نحوها. وهذا تعقيد آخر لا ترغب حتماً بسماعه في ظل هذه الظروف!

هز رأسه.. وذكرها بخشونة: «بدا لي أنك أحببت جدي بما يكفي قبل أن تعرفي بتورطه مع أمك».

ردت بارتباك: «لقد أحببته.. ولا زلت».

خمّن برايس أفكارها: «لكنه ليس والدك».

لمعت عينا سابينا، وردت بحدة: «لا.. ليس أبي.. لكن..».

- هل فكرت يوماً كم شعرت أمك بالوحشة في السنوات الخمس الأخيرة؟ وكيف مرت تلك السنين عليها؟ من القليل الذي قلته لي عن والديك، أستطيع أن أخمّن أنهما تشاركا علاقة عاطفية ومساواة ثقافية. كانا رفيقي روح، في الحقيقة. أظن أن أمك كانت تعيش حياة ناقصة خلال السنوات الأخيرة، ولا بد أنها شعرت وكأن يدها اليمنى قد بُترت. كان برايس يشعر بمرارة الانفعال، فما تراه يقول عن الفراق بعد ثلاثين سنة من العشرة أو ربما أكثر، ما تراه سيشعر إذا فقد سابينا بعد مرور سنين على

بقائها بجانبه.

حذرها قائلاً: «كوني لطيفة معهما».

فقطبت حاجبيها وأجابت متحدية بلطف: «وإلا ماذا؟».

رد عليها مازحاً: «وإلا ستضطرين إلى مواجهتي».

وابتسمت ابتسامة مضحكة وأجابت: «كم أنا خائفة». خطا برايس خطوة إلى الوراء ليمنع نفسه من إمساكها وضمّها إلى صدره.

ثم أكد لها متجهماً: «هذا ممكن».

واستدار يسير بقوة عبر الردهة نحو غرفة جلوس جده.

كان العجوزان واقفين قرب بعضهما حين دخلت سابينا وبرايس.. وإذا لم يكن برايس مخطئاً، كان هناك أثر لدموع على وجه جوان.

حذر برايس سابينا بصوت منخفض: «انتبهي لنفسك».

رمشت عينيها ثم توجهت إلى هيوغ وجوان قائلة: «سنغادر أنا وريتشارد الآن. أردت فقط أن أودعكما».

شدت جوان على يد هيوغ مطمئنة ثم قالت لابنتها: «أرجو ألا يكون وجودي هنا سبب رحيلك».

ردت سابينا مطمئنة: «بالطبع لا.. على ريتشارد أن يعود إلى لندن على كل حال. لديه بضعة أمور يقوم بها قبل أن نسافر إلى أوستراليا يوم الاثنين».

كان برايس قد نسي أنها مسافرة مع الرجل الآخر، وأن الرحلة تأخرت بسبب مجيئها إلى هنا..

هزت جوان رأسها وقد اعتادت على نمط حياة ابنتها الدائم الترحال.

ـ اتصلي بي حين تعودين.. ألن تفعلي سابينا؟

بدت سابينا مندهشة، لكنها هزت رأسها موافقة، وقالت تقترح: «ربما أنت و.. هيوغ، قد تحبان تناول العشاء معنا حين نعود؟».

قبلت الأم الدعوة: «سيكون هذا محبباً.. أنا واثقة من أننا سنحب أن

نأتي.. أليس كذلك هيوغ؟».

واستدارت نحوه للتأكيد.

أكد لها هيوغ باختصار: «سنحب هذا، وأنا آسف لأنكما مضطران للمغادرة في وقت قصير سابينا. كنت أحب أن أتعرف إليك أفضل».

هزت سابينا كتفيها: «لا داعي للعجلة، أليس كذلك؟».

قال هيوغ ساخراً: «هذا يتوقف على نظرتك للمسألة، كما أعتقد. على أي حال، لقد تجاوزت بكثير سنواتي الثلاث عشرة!».

نظرت سابينا إليه مقطبة.. واضح أنها لم تكن واثقة كيف تفهم ما قال، لكن برايس كان يعرف بالضبط كيف يفهمه.. دون أي جهد أبداً.. فجده صحيح الجسم، ولا سبب يمنعه من أن يعيش عشر سنوات بعد على الأقل. خاصة الآن وقد وجد شخصاً في حياته، فسوف يتعلق بالحياة أكثر.

ختمت سابينا الحديث: «سأتصل بك حين أعود، وسنرتب موعداً للعشاء».

وقالت بصوت أجش، دون أن ترفع نظرها: «وداعاً برايس».

قال متجهماً: «سأرافقك إلى السيارة».

هزت رأسها: «لا داعي حقاً. أعرف الطريق، و.. ولقد ودعنا بعضنا».

لم يكن برايس سعيداً بهذا، كان يود أن يقضي بضع دقائق بمفرده مع سابينا. لكنه استطاع أن يرى من النظرة العنيدة في عينيها، ومن شحوب خديها أنها نالت كفايتها ليوم واحد.

هز رأسه: «في هذه الحالة.. أتمنى لك رحلة عودة سعيدة».

ابتسمت بسرعة واستدارت لتخرج بسرعة من الغرفة.

استدار برايس إلى جده، وقال بصوت جاف: «والآن.. أرجو ألا تمانع في تقديمي رسمياً إلى جوان..؟ وبهذه الطريقة لن تجدني فجاً كثيراً حين أسألها ماذا حدث في حياة سابينا منذ بضعة أشهر وغيّر حياتها».

كان برايس مصمماً على الوصول إلى قلب ذلك الغموض. لذا أراد أن يعرف، احتاج أن يعرف!

قال ريتشارد بعد أن صعدت سابينا إلى السيارة إلى جانبه: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ـ على ما يرام.

وأدارت رأسها لتلقي نظرة أخيرة على قصر هيوغ ماكدونالد.

بدا جميلاً وهو يستحم بأشعة شمس شهر أيار. إنه فاتن، هادىء، ساكن. لقد غادرت مع ريتشارد لأنها، لم تستطع أن ترى حلاً آخر. كانت مصدومة تماماً لاكتشافها أن هيوغ ماكدونالد هو الرجل الجديد في حياة أمها. لكنها كانت مصدومة أكثر لردة فعلها على عناق برايس منذ دقائق..

لم يكن لديها فكرة عما إذا خمن ريتشارد أنها كانت بين ذراعي برايس قبل ثوان من دخوله الغرفة. لكنها مضطرة إلى فسخ خطوبتهما. وهذا وفقاً للظروف، الحل الوحيد المنصف في حق ريتشارد.

قال وهو إلى جانبها: «كانت تلك مفاجأة.. أليس كذلك؟».

استدارت سابينا إليه ولم تفهم ماذا يقصد: «ما هي؟».

تمتم ريتشارد بسخرية: «أمك وماكدونالد.. مع ذلك، لو أرادت أن تجد لنفسها عشيقاً عجوزاً، فقد وجدت واحداً ثرياً على الأقل!».

كانت سابينا تعي تماماً وجود موظف هيوغ ماكدونالد على بُعد قدم في المقعد الأمامي من السيارة. وأدركت أنه يسمع دون شك حديثهما..

مع ذلك، لم تستطع ترك الملاحظة تمر دون دفاع.. وقالت ساخطة قليلاً: «أنا واثقة من أن لا دخل لثراء هيوغ بمشاعر أمي نحوه».

رفع ريتشارد حاجبين مرتابين فوق عينين زرقاوين ساخرتين: «لا؟ أنا لست واثقاً جداً من هذا».

لكن سابينا كانت واثقة وتعرف أن أمها لم تهتم يوماً بالثراء المادي. والله يعلم أن سابينا عرضت مراراً على أمها جعل حياتها أكثر سهولة مالياً، لكن

الأم كانت تبتسم رافضة، مدعية أن لديها ما يكفيها، وهو منزلها الريفي الصغير في اسكتلندة، ومجموعتها الواسعة من الكتب.

إضافة إلى هذا، لهيوغ الكثير الكثير يزكيه، فهو لا يزال وسيماً بطريقة مميزة، وحاد الذكاء، وهذا ما ستكون أمها ممتنة له. والأهم، كان هيوغ فاتناً للغاية، مثل حفيده تماماً!

لكن الحدة ظهرت بوضوح في صوت ريتشارد، حين تكلم عن أمها.

وأخذت نفساً عميقاً: «ريتشارد..».

قاطعها بحدة، ينظر إلى السائق عمداً: «ليس هنا».

الآن، اختار أن يتذكر وجود الرجل الآخر! وأضاف ريتشارد بخشونة: «ستتكلم متى وصلنا إلى لندن».

أي حين يعودان إلى المنزل الذي تشاركه إياه. يجب أن يتغير هذا أيضاً. في الواقع، على كل شيء أن يتغير ما إن تشرح لريتشارد أنها لم تستطع الالتزام باتفاقهما.

رغم أنها لم تكن تعتقد أن من الصواب إطلاع ريتشارد على حبها لبرايس!

برايس.. كم يتألم قلبها لمجرد التفكير فيه. ويزداد هذا مع اتساع الأميال بينهما.. متى سترى برايس مرة أخرى؟ لقد أوضحت بصراحة مشاعرها نحو اللوحة، كما فعل ريتشارد أيضاً. وهذا يعني، ويا للسخرية، أن ما يربطها الآن ببرايس، هو علاقة أمها بهيوغ. هل من تبرير منطقي لعدم استجابتها، حين حاولت الأم أن تخبرها عن الصداقة الجديدة في حياتها!

وهذا شيء آخر ينوجب تصحيحه في أقرب فرصة.

لكن، أولاً يجب أن تفسخ خطوبتها بريتشارد.

ولم تكن هذه فكرة مستساغة، فقد أظهرت لها النظرة السريعة الجانبية التي ألقتها باتجاهه، أنه في تلك اللحظات بدا متجهماً لا يمكن الاقتراب منه، ولن يكون الحديث معه سهلاً أبداً!

لكن، لمَ يكون سهلاً؟ لقد كان ريتشارد صادقاً معها منذ البداية حول ما يريده منها في خطوبتهما، وما سيعطيها في المقابل. ولقد التزم بالصفقة، ولم يتغير، بل هي التي تغيرت.. والأسوأ، أنها وقعت في حب رجل آخر، مع أنها لن تقول هذا حرفياً لريتشارد. يكفي أنها لم تعد قادرة على المضي قدماً في الخطوبة، دون أن تورط برايس.

خاصة وأن برايس لا يعرف أنها تحبه! ولن يعرف أبداً. إضافة إلى هذا، لو أصبحت علاقة أمها بهيوغ أكثر من دائمة، فلسوف تصبح وبرايس قريبين بطريقة ما. وفي هذه الحالة، لا يجب أن يعرف برايس أبداً أنها كانت بلهاء بما يكفي لتقع في حبه!

أعلن ريتشارد متجهماً حين وصلا المنزل: «أعتقد أننا سندخل غرفة الجلوس».

لم تكن الرحلة مرضية تماماً. ولم يحلُ لريتشارد الحديث خلال الطيران أو في السيارة إلى لندن من المطار.

صب ريتشارد لها كأس ماء دون أن يتفوه بكلمة، وقال وهو يوجّه إليها عبر رموش ضيقة نظرة قاسية: «تستمدين من الماء الشجاعة سابينا؟».

إنه يعرف بعناقها، هي وبرايس.. إنها متأكدة من هذا فقد رأت نظرة الاتهام القاسية البادية على وجه ريتشارد.. وهو اتهام تستحقه جيداً.

تابع ريتشارد بقسوة: «سوف أوفر عليك مشقة فسخ الخطوبة سابينا وسأفسخها بنفسي، وأنا واثق من أنني أوضحت لك منذ البداية ما أريده منك، وأنني لن أقبل بشيء غير مكتمل!».

شهقت سابينا لنظرة الازدراء التي رافقت إهانته المتوحشة لها.. وردت بصوت منخفض: «أنا لم أدع يوماً الكمال ريتشارد».

ردد ساخراً: «لم تدّعي أبداً أنك كاملة! لم تكوني مضطرة للإدعاء فأنا أعرف أنك كنت كاملة، ناجحة، جميلة، رابطة الجأش ببرودة، ولا تُمَسين.. وأكثر من أي شيء آخر، لا تمسين! لكن هذا لم يعد صحيحاً..

أليس كذلك؟».

كانت تعرف أن ريتشارد سينزعج حين تفسخ الخطوبة.. لكن، لا شيء حضرها لمثل هذا الهجوم الانتقامي. لقد رأته غاضباً من أشخاص آخرين في الماضي، لكنها كانت ترفض رؤية القسوة التي يتعامل بها مع من يخيبون أمله. حسن جداً، لقد خيبت أمله.. ولن ينقذها شيء من لسانه الحاد!

هزت رأسها: «لا أعرف ماذا تعني..».

قاطعها ريتشارد ببرودة: «أعني دخولي إلى غرفة النوم اليوم لأجدك محمرة الوجه مبللة بالعرق لأنك كنت بين ذراعي برايس ماكليستر!».

كررت سابينا: «محمرة ومتعرقة..؟ ريتشارد، أنت..».

ـ صادق إلى حد الفظاظة؟ ربما هذا ما هو الأمر عليه بالضبط.

وهز رأسه باشمئزاز: «ظننتك مختلفة سابينا. ظننت بعدما حصل لك أنك شخص مثالي، بعيد عن القذارة التي يربطها الناس بالحب.. وأنك تريدين من العلاقة تلك الأشياء التي تشاركناها في الأشهر القليلة الأخيرة: الصداقة، الحديث الذكي، الإعجاب المتبادل، مع الحفاظ في الوقت ذاته على الكمال الشخصي».

وهز رأسه مرة أخرى: «لكن في نهاية هذا الأسبوع.. أظهر لي تصرفك مع ماكليستر، أنك مثل أيّ امرأة أخرى!».

نظرت سابينا إليه محدقة غير مصدقة أبداً ما تسمع.. لقد تشاركت هذا المنزل وريتشارد لعدة أشهر، وظنت أنها تعرفه. لكن الأشياء التي قالها بيّنت لها بوضوح أنها لا تعرفه!

وتابع بازدراء: «وبمجرد أن أفكر أنني كنت فعلاً سأطلب منك أن تتزوج!».

كانت قد لاحظت تعليقه حول شهر العسل وهما مسافران إلى اسكتلندة. وتذكرت عدة تعليقات لمحّ إليها برايس حول خطط ريتشارد

للزواج منها. وظنت أنها ملاحظات تهدف إلى إعطاء دليل على ثبات الخطوبة.. لكن من الواضح أنها كانت مخطئة.

وبللت سابينا شفتيها: «لم يكن هذا أبداً جزءاً من اتفاقنا».

رمقها ريتشارد بنظرة مريرة.

ـ لقد وضع تصرفك مع السيد ماكليستر نهاية لاتفاقنا سابينا.. وفي هذه الظروف، سوف أكون ممتناً لو أبعدت نفسك وممتلكاتك عن منزلي في أسرع وقت ممكن.

حدقت سابينا إليه.. من حقه الشعور بالغضب.. وتتقبل هذا. لكن ريتشارد هذا لم تره من قبل.. وهو رجل لا ترغب أبداً بالتعرف إليه..

* * *

٩ ـ يُطارد قوس قزح

تكلمت كلوي بصوت هادىء منخفض وهي تجلس بجانب برايس: «ستصبح هذه عادة مميزة».

لم ينجل عبوسه للملاحظة المازحة، فقد كان كل اهتمامه مركزاً على منصة العرض أمامه وهو ينتظر أن تنطفىء الأضواء ويبدأ عرض الأزياء.

كان يحاول للأسابيع الثلاثة الأخيرة أن يرى سابينا، أو على الأقل أن يكلمها. لكنه لم ينجح سوى في تلقي صد مدبرة منزل ريتشارد لاتم، وفي كل مرة كان يتصل، كانت سابينا في الخارج.

هكذا، لجأ مرة أخرى إلى إقناع كلوي في أن تدعه يرافقها إلى عروض الأزياء والتي يعرف أن سابينا ستشارك فيها كعارضة أولى.

أحسّ برايس طيلة هذه الأسابيع الثلاثة الماضية، أنه كرجل في الصحراء يكاد العطش يقتله.. لكنه كان عطشاً لرؤية وسماع صوت سابينا!

قال لكلوي بجفاء: «لا تعتادي كثيراً على هذا.. فعروض الأزياء لا تستهويني».

نظرت كلوي إليه متفهمة: «أنا لست حمقاء بالكامل برايس».

ضحك لزوجة ابن خالته: «لم يخطر ببالي لثانية واحدة أنك حمقاء!».

كانت ستضجر ابن خالته فيرغوس منذ الأسبوع الأول لو أنها هكذا.. لكن، وبدلاً من هذا ازداد حب الاثنين لبعضهما البعض..

قالت كلوي ببراءة: «كانت مفاجأة لنا جميعاً حين أعلن هيوغ نيته

www.elromancia.com

الزواج مجدداً».

كان برايس على الأرجح الأقل دهشة من بين الجميع حين اتصل هيوغ بكل فرد من العائلة في الأسبوع الماضي ليخبرهم بقراره.. وهذا سبب إضافي يدفعه إلى التكلم مع سابينا، أو على الأقل، هذا ما أقنع به نفسه.

وتابعت كلوي متحدثة: «ومن والدة سابينا من بين كل الناس».

اعترف دون اكتراث: «هذا ما فهمته».

كان يريد يائساً أن يعرف كيف تلقت سابينا الخبر.

رفعت كلوي حاجبين أسودين: «قال لي فيرغوس إنك التقيت بجوان..؟».

أكد لها بحدة: «لوقت قصير».

ولم يكن لديه النية بأن يخبر أحداً من العائلة بنهاية الأسبوع السيئة..!

ـ لا تقلقي كلوي.. ستتاح لك فرصة التعرف إليها نهاية الأسبوع القادم فنحن مدعوون جميعاً إلى لقاء رسمي مع جدة المستقبل!

متى سيبدأ هذا العرض؟ أخذ يتساءل بنفاد صبر.. كان مقرراً أن يبدأ في الثامنة والنصف لكن الساعة تشارف على التاسعة الآن!

أكدت له كلوي: «لست قلقة برايس. أعرف هيوغ جيداً بما يكفي لأتقبل ذوقه البعيد عن الأخطاء. وأنا واثقة أن جوان جميلة.. هل ستكون سابينا موجودة هناك؟ أتظن هذا؟».

لو كانت كلوي تقصد أن تلهيه عن تركيزه العابس على منصة العرض بسؤالها المفاجيء، فقد نجحت.

كان يتمنى بكل تأكيد أن تحضر، وليس لأسباب أنانية. فقد أحب جوان كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية، ولا يريد أن تفعل سابينا أي شيء قد يؤلم أمها.. وفي النهاية يؤلمها.

قال بصوت أجوف: «ليس لدي فكرة.. هل تبدأ هذه العروض متأخرة عادة؟».

أكدت كلوي له دون اكتراث: «دائماً.. لا تقلق برايس».

ومدت يدها تضغط على ذراعه مطمئنة: «عرفت من مصدر موثوق، أن سابينا هنا بكل تأكيد».

دون شك بوجود الحارس الأمين كليف! وهذا أمر مؤسف جداً.. لأنه ينوي أن يرى سابينا هذا المساء، كائناً من يكون معها ويحاول منعه.

ـ أنا لا..

وصمت مع انطفاء الأنوار. وارتفعت الموسيقى التي يبدو أنها ترافق كل هذه المناسبات فجأة.. وتمتم برايس بتوتر: «حان الوقت أخيراً!».

جلس بارتياح أكثر في مقعده يتحضر لرؤية سابينا لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع. وخلال الساعة التي تلت، تقدمت عارضة إثر أخرى على مهل فوق المنصة، وجميعهن جميلات جداً.. ألا أن سابينا لم تكن بينهن!

أكدت كلوي له مرة أخرى: «إنها هنا برايس».

عبس بشدة: «إذن، أين هي بحق..».

وصمت.. وتركزت الأنوار الكاشفة فجأة وسط المسرح. وتوقفت الموسيقى مع بدء النصف النهائي الأول من العرض.

سابينا!

جميلة، غامضة، مغرية. كانت تبدو رائعة في فستان لمّاع بلون زرقة منتصف الليل. القماش يتمايل بإغواء حول ثنايا جسمها المكتملة وهي تنزلق إلى وسط المنصة. شعرها الأشقر مرتب في طراز رائع.. ظل العيون الرائع الذي تضعه جعل عينيها كحليتان كالفستان. لم تكن تنظر يميناً ولا يساراً. لكن، بدا أن ابتسامتها مشرقة بقدر إشراق الفستان اللماع المغري.

وذهل برايس بظهورها، ولم ينضم إلى الحضور الذي صفق ترحيباً بها.. فسابينا لم تبد يوماً رائعة الجمال هكذا.

أو بعيدة هكذا لا يمكن الاقتراب منها!

أدرك بحذر الأحاسيس، أن هذا هو عالمها.. عالم هي الملكة فيه. أدرك

فجأة.. أنه يطارد الطرف المراوغ لقوس قزح.

وشله إدراكه هذا، حتى أنه لم يدرك أن سابينا غادرت المنصة، وعادت الأنوار الرئيسية لاستراحة قصيرة.

سألته كلوي بلطف، وهي تعي أن برايس مذهول تماماً: «هل تريد الذهاب إلى ما وراء الكواليس الآن؟».

سألت مرة أخرى بعد ثوانٍ حين لم تتلقَ الرد: «برايس..؟».

لملم نفسه بجهد، وهز رأسه.

ـ إلى هنا تنتمي سابينا.

هنا.. وإلى منزل ريتشارد لاتم، كما يعرف برايس متألماً.

هزت كلوي رأسها: «لست متأكدة من أنني أوافقك».

ـ معظم العارضات اللواتي أعرفهن، حين لا يعملن، يعشن حياة موحشة.. معظمهن، وبعد حصولهن على الشهرة والمال يتخلين عن أي شيء مقابل الحصول على الحب الحقيقي والزواج في حياتهن.

رد برايس بخشونة وهو يشعر بالضيق بين الجمع المتأنق.

ـ سابينا تملك كل هذا.

بدت كلوي مفكرة: «أتعتقد هذا؟ لطالما فكرت بعم دايفد ريتشارد كرجل بارد».

هز برايس كتفيه: «إنه خيار سابينا.. وليس خياري».

كان يعرف، ومن أجل جوان، أن على سابينا حضور حفل العشاء الأسبوع القادم.

أذهل برايس ولو لوقت قصير جمال سابينا ونجاحها، ونسي سبب وجوده هنا الليلة.. أوه.. إنه يريد أن يراها بنفسه.. لكنه أقنع نفسه بأن القوى الدافعة وراء ظهوره هنا هذا المساء، هو انتزاع وعد من سابينا بأن تدعم أمها في الأسبوع المقبل.

لكن، ما إن ألقى نظرة واحدة إلى سابينا حتى عرف أنه يخدع نفسه..

شعر أن حبه لها ازداد كثيراً، إلى درجة أنه لم يعد متأكداً من قدرته على عدم البوح بمشاعره نحوها حين يراها!

قال بصوت متثاقل: «ربما من الأفضل أن أغادر الآن».

ـ لا أظن..

وصمتت كلوي مع انضمام شخص ثالث لهما وحيت الفتاة الشابة: «مرحباً آني، العرض يسير على ما يرام، أليس كذلك؟».

قالت الفتاة الشابة: «عليكِ أن تشاهدي الفوضى خلف الكواليس».

واستدارت إلى برايس تبتسم له بوقاحة: «هل أنت السيد ماكليستر؟».

ـ هذا صحيح.

ـ إذن، فهذا لك.

ودست مغلفاً في يده. وضحكت قبل أن تسرع مبتعدة.

نظر برايس إلى المغلف بذهول.. ماذا بحق..؟

سألت كلوي بفضول: «ألن تفتحه؟ آني هي إحدى العاملات خلف الكواليس».

كان برايس قد خمّن هذا، وبما أنه يعرف شخصاً واحداً خلف الكواليس، فهذه الرسالة من سابينا دون شك.. ولو أنها لم تظهر أي دليل على معرفتها بالمشاهدين وهي على المسرح.. آه كم أنتِ محترفة يا سابينا.. واضح أنها رأته يجلس هناك مع كلوي!

لكن، لمَ تكتب سابينا له؟ لتحذره، بعد أن رأته وعرفت نواياه، ألا يحرج نفسه في محاولة رؤيتها هذا المساء بعد انتهاء العرض؟ أم لشيء آخر؟ وكان خائفاً من أن يحصل على الرد!

شجعته كلوي بنفاد صبر: «افتحه وانظر ما تقول».

نظر برايس إليها ساخراً: «ألا تفترضين الكثير؟».

ـ أشك في هذا. اسمع.. سأعود بعد دقائق. سأذهب إلى غرفة «السيدات». وسأعطيك فرصة لقراءة الرسالة بسلام.

لو لم تكن كلوي متزوجة لوقع في حبها في تلك اللحظة لمجرد أنها تركته لوحده. إضافة طبعاً إلى أنه لو لم يكن مغرماً بسابينا!

كانت رسالة سابينا تقول: «لو أردت التحدث معي، أظهر هذه الرسالة لأحد رجال الأمن في نهاية العرض».

أدار برايس الورقة بين يديه ليتأكد من عدم وجود شيء آخر مكتوب عليها، ولم يجد.

لم تكن سابينا متأكدة وهي تنظر إلى التعبير الذي لا يلين على وجه برايس أن هذا فكرة جيدة. في الواقع، كان الألم في صدرها لمجرد رؤيته، يقول لها إنها ليست فكرة جيدة!

لكنها فوجئت هذا المساء حين رأت برايس على مقاعد المتفرجين إلى جانب مصممة الأزياء، وزوجة ابن خالته، كلوي فوكس.. كانت واثقة من أنه لم يحضر إلى هنا لمشاهدة العرض. ممّا يعني أنه هنا ليراها. أو على الأقل، هذا ما ظنته. أما الآن وهي تنظر إلى خشونة تعبيره، فلم تعد واثقة! وظهر شيء من هذا التردد على وجهها وهي تجلس وتدير ظهرها إلى المرآة لتزيل التبرج الثقيل الذي احتاجته للعرض. ونظرت إلى صورته في المرآة: «ما كان رأيك بهذه الأمسية؟».

كشّر، ولم يحرك ساكناً ليتقدم أكثر في الغرفة، ثم هز كتفيه: «ليس لدي خبرة كبيرة في مثل هذه الأشياء.. لكن بدت لي الأمسية جيدة».

لم تستطع سوى أن تبتسم لنبرته هذه، وسألت: «كيف كان حالك برايس؟».

كانت ترتدي ملابسها العادية: بنطلون ضيق وتيشيرت أحمر برّاق، وشعرها المتجعد منفلت على ظهرها.

ـ كيف كنت..؟

وصمت.. ليأخذ نفساً مهدئاً.

ـ أنا واثق من أنك لم تدعيني إلى هنا لتبادل التحيات.

تابعت سابينا بهدوء إزالة زينتها، آملة أن لا يرى برايس ارتجاف يديها الفاضح لأنها تنظر إليه. وردت ساخرة: «أنا واثقة من أنك لم تأت إلى هنا هذا المساء لتشاهد عرض الأزياء».

ـ أوه؟ إذن، لمَ أنا هنا؟

هزت سابينا كتفيها: «لو خمنت فسأقول إنك أردت رؤيتي لتتأكد أنني سأكون في حفل عشاء جدك نهاية الأسبوع القادم».

قال متحدياً: «وهل ستكونين هناك؟».

ابتلعت خيبة أملها وهي تدرك أنها كانت على صواب حول سبب وجود برايس هنا هذا المساء.

كل شيء كان مجرد لعبة بالنسبة لبرايس، العناق، الغزل، لعبة خطيرة دون شك، لكنها لعبة على أي حال.

لمعت عيناها بالغضب وهي تنظر إلى انعكاسه في المرآة: «لا يعجبني ظنك بأنني قادرة على إيلام أمي وعدم حضور هذا العشاء».

عقد حاجبين أسودين: «هل يعني هذا أنك ستأتين؟».

ـ هذا ليس من شأنك. لكن أجل، سأكون هناك.

وتحدته: «هل هذا كل شيء؟».

غضبت كثيراً حتى باتت عاجزة عن الاعتراف بأنه لا يثق بها.

لكن، ماذا كانت تتوقع؟ أن يفتقد برايس إليها كما افتقدته هي في الأسابيع الثلاثة الأخيرة.. وأنه قد بقي هنا لمجرد سماع صوتها ورؤيتها؟ كما تمنت.

قال برايس بخشونة من خلفها: «لا.. ليس هذا كل شيء!».

كان قريباً جداً خلفها، وراحت ترتجف. أصبح الآن يقف قريباً منها بحيث تشعر بالحرارة تنبعث من جسمه.

نظر حوله بنفاد صبر. كانت الغرفة في فوضى كاملة ناتجة عن تغيير الملابس السريع.. وسأل: «هل انتهيت؟ أم أنك ذاهبة إلى الحفلة التي لا بد

منها والتي تلي عادة هذه العروضات؟».

ذكرته بجفاء: «إنها حفلات أختار أنا ألا أحضرها».

هز رأسه: «أين هو كليف الحامي هذا المساء؟».

صدقاً.. ليس لديها فكرة. لكنها لن تقول له هذا. بل قالت دون اكتراث: «هذه ليلة راحته».

ـ ولاتم؟

ـ لا يزال في أوستراليا.

حسبما تعرف.

أمال رأسه ساخراً: «في هذه الحالة، هل يمكن أن نذهب ونتناول القهوة معاً في مكان ما؟».

نظرت إليه بعينين ضيقتين: «وماذا عن كلوي؟».

هز كتفيه: «لقد غادرت».

هل يجب أن تشرب القهوة معه؟ لقد تغيرت حياتها بشكل درامي خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، ولو أن برايس لا يعرف هذا. ولا أحد يعرف، ولا حتى أمها.. في الوقت الحاضر، أرادت سابينا أن تبقى الأمور هكذا.

ـ أعرف ما حدث لك في شهر تشرين الثاني الماضي سابينا.

قطعت الكلمات بالرغم من نعومة لفظها في الجو كالسكين. واستدارت سابينا بحدة لترفع نظرها إليه. أجل.. تستطيع أن ترى من العطف الذي في عينيه الزمرديتين أنه يعرف.

آخر شيء تريده من برايس كان شفقته.. لا الآن.. ولا أبداً!

هزت كتفيها دونما اكتراث: «وماذا في هذا؟ أخبرتك أمي إذاً؟».

دافع برايس: «هذا لأنني سألتها.. فقط».

ـ وهذا ما يجعل الأمر مقبولاً.. أليس كذلك؟

ووقفت سابينا فجأة، وتحركت بحدة بعيداً عنه.

هز كتفيه: «أمك امرأة صادقة جداً وصريحة».

رفعت حاجبين متحدين: «وأنا لست هكذا؟».

ـ لم أقل هذا..

قاطعته بنفاد صبر: «ما حدث ليس أمراً أريده أن يصبح معروفاً علناً».

وفي الواقع، عانت آلاماً كثيرة كي يبقى هذا الأمر طي الكتمان.

رد برايس بخشونة: «وأنا لست من الناس! بعد بضعة أسابيع سنكون جميعاً جزءاً من عائلة واحدة».

واجهته متصلبة، وقالت ساخرة: «زواج أمي من جدك لا يجعلنا عائلة واحدة».

اشتد ضغطه على فمه: «لكن هذا يجري حسب عرفي».

ردت بحرارة: «هذا شأن خاص بك».

لم تشأ أن تجمعها قرابة بهذا الرجل، إنها تحبه وتتألم شوقاً لتكون معه طوال الوقت.. بدت فكرة التقائهما بين حين وآخر في اجتماع عائلي مؤلمة جداً. خاصة وأن برايس قد يصل يوماً إلى مثل هذه الاجتماعات برفقة المرأة التي ينوي الزواج منها!

صاح برايس، وقد نفد صبره: «اللعنة سابينا. لم آت إلى هنا هذا المساء لأدخل في جدال معك في هذا الجحر!».

هذا «الجحر» فخم لو قورن ببعض الظروف التي تعمل فيها بعض العارضات هذا المساء. لكنها تعرف ما كان يعني برايس قوله، لأنها غرقة دون هواء أو نوافذ.

إبتسمت شبح ابتسامة: «وأين تنوي أن تدخل في جدال معي، إذن؟».

هذا ما كانا يفعلانه بشكل محتم كلما التقيا!

لم يرد برايس على ابتسامتها، وتلاعب عرق نابض على خط فكه... وتابع كلامه بقسوة: «هل ستشربين القهوة معي أم لا؟».

ـ أنا..

وأوقفت ردها الغاضب. لو قالت لا، فالمرة القادمة التي سترى فيها برايس، ستكون في اجتماع العائلة نهاية الأسبوع القادم.. وأكملت بحزم: «أنا.. سآتي معك».

وأكملت تبرجها الخفيف والتقطت سترتها استعداداً للمغادرة.

تنهد برايس بنفاد صبر: «لمَ لم تقولي هذا من البداية؟».

ومد يده ليمسك ذراعها بخفة. وكأنه يتوقع منها أن تهرب إلى الجهة الأخرى ما إن يخرجا من الغرفة.

ابتسمت سابينا ساخرة: «لا يمكن أن أسهّل الأمر عليك برايس».

هز رأسه: «صدقيني. لم أجد يوماً أي شيء سهل وأنا معك».

نظرت إليه متفحصة، تتساءل ما يعني بقوله بالضبط.

ـ تعال إذن برايس.. لدي سيارتي في الخارج.

رفع حاجبين أسودين وهما يسيران نحو المخرج.

ـ شيء جديد.. أليس كذلك؟

ـ ليس تماماً.. فأنا أقود منذ سنوات.

قال بنفاد صبر: «ليس هذا ما عنيته بالضبط».

كانت سابينا تعرف تماماً ما عناه. وتعرف أنه كان يشير إلى أنها تقود السيارة بنفسها بدلاً من أن يقودها لها أشخاص آخرون.

كان هذا أقل التغييرات التي حدثت في حياتها في الأسابيع الثلاثة الماضية.

***

تمتم برايس ببطء وهما يجلسان في قاعة استقبال أحد فنادق لندن الفخمة، وصينية القهوة التي طلباها موضوعة على الطاولة أمام سابينا: «هناك شيء مختلف فيك الليلة».

هل ما يراه في نظرتها قلق وهي تتطلع إليه؟ أم أنه يتخيل؟ كانت النظرة

سريعة قبل أن تختفي وراء ابتسامة مهذبة، بحيث لم يعد واثقاً..

قالت سابينا بغير اكتراث: «وهل هذا صحيح؟».

أعطته فنجان القهوة قبل أن تجلس في مقعدها لترشف قهوتها، وقالت: «أنا دائماً أشعر بحساسية زائدة بعد العرض.. ربما هذا ما هو الأمر عليه؟».

قال معلقاً بخفة على السيارة المرسيدس التي كانت تقودها: «سيارة رائعة».

ـ شكراً.. أنا في الواقع أستمتع بأن أقود في لندن مرة أخرى.

لقد تغيرت. وفكر برايس بهذا مقطباً وهو يسجل ابتسامتها السعيدة. ذلك الخوف الذي أحسه فيها منذ البداية لم يعد موجوداً على ما يبدو. ولو أنه الآن، بالطبع، يعرف سبب وجوده.

مال إلى الأمام ليقول لها بصوت أجش: «لم تكن أمك تبوح بسرك أثناء كلامها معي. إنها تعتقد، وربما مخطئة، أننا صديقان».

وكشر ساخراً.

وهبط ستار فوق نظرة سابينا: «أنا لست أول شخص معروف يتلقى رسائل تهديد، ومخابرات من مجهول لا يعجبه عملي، ولن أكون الأخيرة».

لكن برايس لا يتراجع بسهولة. فقد عرف من جوان أن هناك أكثر من هذا. وقال: «لقد دخل الرجل غرفة ملابسك في أحد العروض وهاجمك».

أحس برايس أنه يريد ارتكاب جريمة لتفكيره بأن شخصاً ما يحاول أذية سابينا. احترق غضباً بعد كلامه مع جوان. ورغب لو يمسك بالرجل الذي هاجم سابينا و.. أراد أن يلتقط سابينا ويلفها بعباءة واقية، ويتأكد من ألا يحدث لها شيء كهذا مرة أخرى.

ما عدا أن ريتشارد لاتم، سبق وفعل هذا. وأحس كذلك بحاجة لأن يضرب ريتشارد لأنه مسموح له أن يحمي سابينا!

هزت سابينا كتفيها، وهي لا تزال تتجنب نظرة برايس المباشرة،

www.elromancia.com

وقالت بصراحة: «لقد وافق على الخضوع لعلاج نفسي نتيجة لعمله تلك الليلة. وهذا سبب عدم تحريك المسألة أكثر من هذا».

وكان السبب أيضاً في بقاء الحادثة طي الكتمان. أوه، استطاع برايس أن يرى الآن لما فضلت سابينا إبقاء الأمر هكذا.

مالت سابينا إلى الأمام: «اسمع برايس. لقد انتهى كل هذا الآن. و..».

قاطعها بخشونة: «وهل انتهى؟ ماذا عن الرسائل التي ما زلت تتلقينها؟».

كان يخاطر تخميناً أنها لا تزال تتلقى رسائل التهديد. لكن نظرة واحدة إلى وجهها المصدوم، جعلته يعرف أنه محق. ويدرك أن المغلف الأخضر المدمر، الذي وصل بالبريد وكانت ردة فعلها عليه غريبة يوم زارها هو رسالة تهديد.

التوى فمه غضباً: «لا أعتقد أن العلاج النفسي كان ناجحاً. أليس كذلك؟».

تحركت عضلات عنقها النحيلة متشنجة وهي تبتلع ريقها بقسوة. وأخذت نفساً خشناً: «برايس، أنا أفضل حقاً ألا نناقش هذا».

وهزت رأسها باضطراب.

ـ أستطيع فهم السبب. لكن الرجل لم يتوقف.. أليس كذلك؟ واضح أنه يأخذ وقته إلى أن تتاح له فرصة الوصول إليك مرة أخرى.. إنه..

قاطعته بخشونة: «كفى! أنا.. لقد توقفت الرسائل، فأوقف هذا برايس. أنا لم أتلقَ رسالة منذ أسابيع».

قال بخبث: «إذا خمنت، فسأقول إنك تلقيت رسالة أخرى يوم زرتك وكنت «مريضة» في السرير».

ارتفعت نظرة سابينا بسرعة إلى وجهه، ثم أشاحتها.

ـ أنت ماكر جداً برايس.. كانت تلك آخر رسالة تلقيتها.

ـ منذ أربعة أسابيع.. كم رسالة كنت تتلقين؟

ابتلعت ريقها مرة أخرى: «كل أسبوعين».

قال بخشونة: «الوقت مبكر قليلاً لافتراض عدم وجود المزيد منها. ألا تظنين ذلك؟».

وجعله الغضب الذي يشعر به نحو ذلك الرجل يبدو قاسياً.

فتحت سابينا فمها لتقول شيئاً، ثم فكرت مرة أخرى، وهزت كتفيها.

نظر برايس إليها متسائلاً: «سابينا..؟ ما الذي لا ترغبين بقوله لي؟».

ازداد اقتناعه بمرور اللحظات أن هناك شيئاً تخفيه.

أجبرت نفسها على إظهار ابتسامة مشرقة: «يا للسماء.. لا بد أن هناك الكثير من الأشياء التي لا أخبرك إياها برايس.. نحن لا نعرف بعضنا جيداً بما يكفي لمشاركة الأسرار!».

لا نعرف...! وأخذ برايس نفساً حاداً، إنه يعرف هذه المرأة جيداً بما يكفي ليعرف أنه يحبها، وأنه لا يفكر بشيء سواها، ليلاً نهاراً.. فكم يحتاج أن يعرفها أكثر؟

رد بتوتر: «شكراً!».

ابتسمت له بخبث: «أهلاً بك».

عبس برايس مؤنباً: «واضح أنك كنت مشغولة في الأسابيع الثلاثة الأخيرة».

كانت مشغولة بحيث كانت «مسافرة» أو «غير موجودة» في كل مرة يتصل بها هاتفياً!

مرة أخرى أحس بقلق مفاجيء يعتريها، ولم يكن ذلك الخوف القديم الذي أصبح يعرف سببه، بل مجرد قلق.. فلماذا؟

ردت دون التزام: «لقد قلت لك منذ أسابيع إن برنامج عملي مثقل بالمواعيد لستة أشهر قادمة».

ـ هذا صحيح.. وأنا كذلك لم أكن عاطلاً عن العمل في الأسابيع

الثلاثة الماضية.

نظرت إليه باهتمام مهذب: «أوه؟».

كره برايس النظرة فوراً. آخر ما يريده من سابينا هو تهذيبها معه!

قال دون مقدمات: «لقد أنهيت اللوحة».

رمشت بعينيها: «لوحتي؟».

أحنى رأسه ساخراً: «لا غيرها».

واحمر خداها. وبدا عليها الارتباك.

ـ لكن.. أنا.. أنا.. لم أنه الجلوس أمامك.. أضف إلى هذا أنني.. أنك.. لقد قال لك ريتشارد إنه لم يعد يريدها.

ضاقت عينا برايس غضباً: «هل هذه هي نظرتك إلى موهبتي الفنية حتى أنك تعتقدين أنني عاجز عن رسم موضوع لا يكون أمامي لساعات متواصلة؟».

تحركت بقلق: «لا.. ولكن.. لِمَ تزعج نفسك ولم يعد لديك.. زبون تبيعها له؟ أعتقد أنني أستطيع..».

ونظرت إليه بارتباك. فقاطعها بخشونة: «ليست للبيع!».

لقد جلس وأنهى رسم سابينا من أجله وحده. من أجل كمال عقله، هكذا أحس في بعض الأوقات. كان رسم صورتها على القماش، وسيلته الوحيدة ليشعر على الأقل أنه قريب منها في الأسابيع الثلاثة الماضية!

كانت صورة رائعة.. سابينا مرسومة في تلك الغرفة في قصر جده.. سابينا الجميلة، يحيط بها الغموض الذي كان جزءاً منها.

ما من طريقة تتيح لبرايس بيع هذه اللوحة، لأي شخص كان.. وفي هذه الظروف، كان من الأفضل أن لاتم غير رأيه حول رغبته بها.. فسيواجه برايس مشكلة وهو يقول لريتشارد إن اللوحة ليست للبيع!

هزت سابينا رأسها: «أنا لا أفهم».

التوى فم برايس ساخراً: «ألا تفهمين؟».

وبدت أكثر حيرة: «لا.. ماذا ستفعل بها؟».

رد ببطء: «لست متأكداً.. قد أعرضها».

فكرة إخراج لوحة سابينا من ممتلكاته ولو للحظة، حتى في معرض له، كانت شبه مستحيلة بالنسبة له. ربما سيعلقها في غرفة نومه.. إنها أقرب مكان يمكن أن يفكر بإيصال سابينا إليه!

أطرقت سابينا رأسها: «دعني أعرف إذا قررت هذا، سأحب أن آتي لأراها».

رد بخشونة: «يمكنك المجيء إلى منزلي في أي وقت لتريها».

ابتسمت سابينا ابتسامة متزمتة، وهزت رأسها.

ـ أعتقد أنني سأنتظر المعرض.

هز كتفيه، وقال بخشونة: «افعلي ما شئت».

وتغير الجو بينهما في الدقائق الأخيرة، وأدرك برايس هذا مقطباً. فقد فقدت سابينا معظم ذلك الحماس الذي لاحظه فيها، وأراد استعادته: «سابينا..».

وصمت وهو يراقب يدها التي رفعت فنجان القهوة إلى شفتيها، وهو مصدوم بالكامل بعد أن لاحظ أن هناك شيئاً مختلفاً في سابينا هذا المساء، شيئاً كان يجب أن يلاحظه قبل الآن.

كان إصبعها خالياً من الخاتم الماسي الضخم الذي يمثل ريتشارد لاتم، بالنسبة لبرايس، وامتلاكه لها!

نظرت سابينا إلى برايس متسائلة، مدركة أنه كان يحدق مشدوهاً إلى يدها.. يدها الخالية.

كان هناك عدة أعذار يمكن أن تقولها له لتبرير غياب خاتم خطوبتها من يدها.. إنها لا تضعه أبداً وهي تعرض الملابس ونسيت أن تعيده بعد العرض. أو أنه عند الصائغ ليصغّره، لأنها خسرت وزناً في الأسابيع الثلاثة الماضية.. أو أنها تستطيع أن تقول إنها نسيته هذا المساء. لكن، ما من واحد

www.elromancia.com

من هذه الأعذار صادق.

أخيراً بدا أن برايس جمع شتات نفسه: «أين خاتمك؟».

نظرت سابينا إلى يدها.. ماذا سيظن برايس لو قالت له إنها لم تعد تضع الخاتم لأنها لم تعد مخطوبة؟ الحقيقة أيتها البلهاء.. أنها وريتشارد لم يعودا مخطوبين وأن برايس هو السبب!

جلست مستقيمة في المقعد، ونظرت مباشرة إلى برايس: «ليس لدي فكرة عمّا فعل ريتشارد به منذ أعدته إليه».

قطب بألم، وسألها: «أعدت له خاتم الخطوبة؟».

ردت باختصار: «أجل. لم أعتقد أن من الصواب إبقاءه لأننا لم نعد مخطوبين».

سأل برايس ببطء: «متى أعدته له؟».

لو قالت منذ ثلاثة أسابيع، حين عادت مع لاتم من اسكتلندة، فلسوف يخمّن برايس أن له دخل في فسخ الخطوبة.. أو أن ريتشارد عرف أنهما كانا بين ذراعي بعضهما ذلك اليوم. أو.. وهذا هو الأسوأ.. أن سابينا فسخت الخطوبة بسبب إدراكها مشاعرها نحو برايس.

والسبب الأخير قد يكون صحيحاً، لكنها ليست مضطرة لأن تتخلى عن كل كرامتها وتفصح عن الحقيقة الكاملة!

مال برايس إلى الأمام، وقال لها بخشونة: «كنت أتصل بالمنزل خلال الأسابيع الثلاثة الماضية لأتكلم معك. وكانت مديرة المنزل تقول لي إنك غير موجودة!».

ابتسمت سابينا بخشونة: «أعتقد أن هذا صحيح، تقنياً.. فأنا لم أعش في المنزل لعدة أسابيع.. أنظر برايس.. لقد تأخر الوقت كثيراً».

وانحنت لتلتقط حقيبتها وتقول بحزم: «كانت أمسية طويلة.. لذا لو عذرتني..».

انفجر بقسوة وتجهم: «لا.. لن أعذرك! لا يمكنك الوقوف هكذا

والمغادرة بعد أن قلت لي إنك فسخت خطوبتك بلاتم!».

ـ بالطبع أستطيع. على أي حال لقد فسخنا الخطوبة باتفاق مشترك.. وليس الأمر قضية كبيرة برايس. في الواقع، لقد استمتعت بالأسابيع الماضية من الحرية.

شيء ما تغير داخل سابينا ليلة إنهاء خطوبتها من ريتشارد.. أجرت إعادة تقييم لثقتها القديمة بنفسها، استقلاليتها. الخوف الذي عاشت تحت وطأته في الأشهر الماضية، توقف كله تلك الليلة، ولسبب وجيه جداً.

اشتد ضغطها على فمها: «أحب أن أعود كما كنت مرة أخرى برايس. ولقد انتقلت إلى شقتي الخاصة، أفعل ما أريد، وأذهب حيث أريد».

وهزت كتفيها وأنهت كلامها: «يجب أن أعترف أنني نسيت كم أن هذا الإحساس جيد».

ولقد نسيت. فبعد الهجوم عاشت في خوف من تكرار ما حدث مرة أخرى، وكانت مسرورة جداً لأن ريتشارد عرض حمايتها.. لكنها لم تدرك الثمن الذي كان يتوقع منها أن تدفعه مقابل تلك الحماية.

إلا أن الأسابيع الثلاثة الماضية التي وقفت فيها على قدميها بمفردها، أكسبتها الثقة التي فقدتها بعد الهجوم. وصممت أن تفعل هذا، ونجحت.

اختارت شقتها وفرشتها بالأثاث وانتقلت إليها، حتى أنها عاودت بعضاً من حياتها الاجتماعية مع بعض العارضات الأخريات، وقررت أنها ببساطة لا تستطيع العيش في خوف دائم من تكرار الهجوم. وأنها تريد أن تعيش حياة كاملة كتلك التي عرفتها من قبل.

وكانت تتطلع شوقاً لحضور حفل عشاء خطوبة أمها، رغم أنها كانت تشك بوجود برايس هناك. كانت مسرورة حقاً لأمها ولهيوغ.

اتصلت بأمها لترتب موعد غداء معها منذ أسبوع، وتكلمتا معاً كما لم تفعلا من قبل. وعرفت سابينا أنها تقرّبت من أمها وستحافظ على هذا القرب، وعرفت كذلك أن أمها لن تكرر ذلك الحديث أمام برايس..!

رد برايس ببطء: «فهمت، إذن لا جدوى من طلبي أن تتناولي العشاء معي مساء الغد؟».

تنفست بعمق وبصوت منخفض. زاد التوتر بينهما، فأحست أنها قادرة على مد يدها ولمسه، وسألت بصوت أجش: «ولِمَ تريد أن تفعل هذا؟».

رد بسخرية: «لأن الوقت مبكر جداً لأطلب منك قضاء بقية حياتك معي!».

اتسعت عينا سابينا مصدومة وهي تنظر إليه غير مصدقة.. هل قال برايس لتوه...؟ هل حقاً..؟

هزت رأسها مشدوهة، لا تستطيع الكلام.. لا تجرؤ على الكلام، هل يقول لها برايس إنه يحبها؟

قال برايس بقسوة وقد رأى أنها تهز رأسها: «أفهم من هذا أن الرد «لا» لقضاء بقية حياتك معي.. حسن جداً.. سأرضى بعشاء معاً كما سبق وطلبت منك!».

إنه يسير بسرعة كبيرة بالنسبة لها.. كانت لا تزال تحاول تخطي صدمة كلامه الأخير! فكيف ينتقل من العشاء إلى قضاء العمر معاً؟.

قالت ببطء: «دعنا نعود بضع خطوات إلى الوراء برايس! أعرف أنك عبثت معي في الشهرين الماضيين، حتى أنك عانقتني..».

قاطعها بحزم: «دعيني أصحح لك شيئاً قبل أن تتابعي سابينا. أنا لا أعبث أبداً، ولن أعبث».

ـ لكن..

تابع وكأنها لم تقاطعه: «أما العناق.. فقد كنت أمام خيارين الأول هو أن أعانقك والثاني هو أن أضعك على ركبتي وأضربك على قفاك.. وفضلت الخيار الذي اعتبرته أكثر مرحاً!».

ابتلعت سابينا ريقهابقسوة والسعادة تضج في داخلها وهي تصغي إليه.

وقطبت: «برايس، هل يمكن أن نخرج من هنا إلى مكان أقل علنية نستطيع التكلم فيه؟».

نظر إليها لدقائق عدة قبل أن يجيب: «هل أحصل على موافقتك على تناول العشاء معي غداً، أو لا؟».

لو كان ما تفكر فيه، وتأمله، صحيحاً، يمكنه الحصول على وعد بأكثر من هذا! لكنها لم تقل شيئاً، بل أطرقت برأسها، وهي لا تزال مصدومة إلى حد أنها لا تجرؤ على تصديق ما يقوله برايس لها.

قال برايس بشراسة، وهو يقف: «هذا جيد بما يكفي. حسن جداً، دعينا نذهب».

بخجل، أخذت سابينا اليد التي مدها إليها ووقفت ببطء، ووضعت يدها في حضن يده الدافئة وهما يخرجان إلى عتمة الليل.

***

١٠ ـ ظلال تتهاوى

لم يشعر برايس من قبل بمثل هذا التوتر في حياته كلها وهو يصب لنفسه ولسابينا فنجاني قهوة. صحيح أن سابينا غادرت الفندق معه، وقادتهما في سيارتها إلى منزله. لكنه لا يزال غير متأكد من دوافعها. هل تريد أن تضعه عند حده بلطف، بعيداً عن الفندق المزدحم؟ أم أن هناك شيئاً آخر؟.

قطع غرفة الجلوس إلى حيث تجلس سابينا في مقعد، وأعطاها فنجان القهوة قبل أن يرتشف قهوته. السائل الساخن لم يفعل شيئاً لتدفئته، فقد أحس بأنه سجين ينتظر حكم الإعدام؟

ـ سابينا..

ـ برايس..

وتكلما معاً وابتسما بخشونة لبعضهما وهما يتوقفان عن الكلام معاً..

دعاها برايس: «أنت أولاً».

وبقي واقفاً يشعر بالتململ الشديد ولا يستطيع الجلوس. قد لا تكون سابينا مخطوبة إلى لاتم، لكن هذا لا يعني أن أمامه فرصة معها.

أخذت سابينا نفساً عميقاً قبل أن تتكلم، ولم تكن قد شربت بعد فنجان قهوتها.

ـ هناك أشياء يجب أن أقولها لك قبل.. قبل..

قبل تنفيذ الحكم؟ لم يكن برايس متأكداً، بعد أسابيع من التوتر، من قدرته على تحمل الآتي. من قبل، كان مقتنعاً بأن سابينا مخطوبة إلى رجل

آخر، وأن الإخلاص وحده، لا حبها لريتشارد لاتم، هو ما منعها من الاستجابة إلى اهتمام برايس بها. لكن هذا العذر لم يعد موجوداً، ومع ذلك ما من سبب يدعوه لأن يصدق أن سابينا قد تكون مهتمة به.

قال بخشونة أكثر: «إذن، قولي لي».

وكشر حين أجفلت للهجته الخشنة وتنهد: «أنا آسف.. أخشى أنني لست صبوراً».

ابتسمت قليلاً: «ما كنت لأخمن! على أي حال، وكما شرحت، لم أعد مخطوبة لريتشارد».

ونظرت إلى برايس مباشرة وعيناها الزرقاوان لا ترمشان.

ـ وقد فسخت الخطوبة في الواقع منذ ثلاثة أسابيع. لحظة عدنا من اسكتلندة.

شجعها برايس بصوت أجش: «تابعي».

وكان يخشى أن يتنفس كي لا يضيع اللحظة.

تنهدت، وأخذت رشفة من القهوة قبل أن تتابع: «وكنت أنا من تطرق إلى الموضوع، لكن.. لكن ريتشارد كان قد وصل إلى قرار لم أعرف به. إنه رجل يذهب إلى أي مدى.. أي مدى».

وارتجفت وهي تكرر: «ليزيد ما يعتبره مجموعة مقتنياته الخاصة الفريدة من نوعها».

ورفعت نظرها إلى برايس. وعيناها تلمعان بدموع لم تذرفها، وقالت بصوت أجش: «لقد قلت منذ قليل إن الوقت لم يحن بعد لمعرفة ما إذا كانت تلك الرسائل الفظيعة قد توقفت. أنا أؤكد لك الآن أنها توقفت لأن ريتشارد كان من يرسلها».

حدق برايس بها غير قادر على أن يفهم بالضبط ما كانت تقول.. كيف يمكن للاتم أن يكون مسؤولاً عن إرسال تلك الرسائل الفظيعة؟ أولاً، كان هناك رجل يرسل لها رسائل ويقوم باتصالات تهديد خلال شهر تشرين

www.elromancia.com

الثاني. لكنه وضع تحت العناية الطبية بعد تهجمه على سابينا. ثانياً، من المفترض أن لاتم يحب سابينا ويعرف كم أن استلام تلك الرسائل يزعجها.

أم أن هذا هو المقصود؟ وتساءل برايس بحدة. ألم يحذر ابن أخ لاتم برايس من التعامل معه، وأن عمه جامع تحف شرس؟ وأن سابينا بالرغم من أنها ليست شيئاً يباع ويشترى فمن المؤكد أنها لا تقدر بثمن!

ابتسمت سابينا دون مرح وهي ترى الحيرة الواضحة على وجه برايس. وقالت مرتجفة: «أمر يصعب تصديقه.. أليس كذلك؟ لا زلت أجد صعوبة في تصديق ذلك، لا أعلم كيف وثقت بمثل هذا الرجل! لكن كل هذا صحيح برايس.. فريتشارد وأنا كنا نتجادل ذلك اليوم حين عدنا من اسكتلندة، وقال أشياء كانت..».

وابتلعت بقسوة: «كان غاضباً لأنه عرف.. كان غاضباً. وخلال ذلك الغضب قال لي إنني ما إن أوافق على الزواج منه حتى يوقف الرسائل بنفسه».

صاح: «لكن لماذا؟».

كشرت سابينا: «ألا يمكنك أن تخمّن؟».

وعرف فجأة: «ليبقيك معتمدة على حمايته! لا بد أنك كنت ضعيفة جداً بعد الهجوم.. سريعة التأثر بلطف لاتم الظاهر، وأشك..».

قاطعته بثقل: «جداً.. الحقيقة برايس، أن ريتشارد وأنا لم نكن نحب بعضنا.. لقد عقدنا صفقة، ريتشارد يحميني وأنا.. أنا..».

أنهى لها جملتها غير مصدق: «وأنت تصبحين غرضاً لا يقدر بثمن يضمه إلى مجموعته».

اعترفت بألم: «أجل. لقد نسيني الناس بعد الهجوم وأصبحت ضعيفة جداً».

صاح برايس بغضب وهو يفهم الحقيقة كلها: «وأراد إبقاءك هكذا». ذلك النذل! كيف يمكنه هذا؟ كيف يجرؤ أن يفعل هذا بسابينا..؟.

أكدّت سابينا بثقل: «بالضبط. لقد ذكرت أنني استلمت واحدة من تلك الرسائل في اليوم الذي جئت فيه إلى المنزل وكنت مريضة؟ كان ذلك لأن.. ريتشارد جاء إلى المنزل باكراً من رحلة عمل. وجئت أنا إلى منزلك، وانتهى بي الأمر إلى البقاء للعشاء. و.. ولقد عرف أين كنت».

خمّن برايس بازدراء: «كليف!».

تنهدت سابينا: «أجل. وكان الخطاب الذي تلقيته عقاباً لي لرؤيتك دون إذن ريتشارد. وقد تلقيت واحدة من هذه الرسائل في كل مرة ظن فيها أنني أحتاج إلى ما يذكرني أنني ملك له! في الواقع هذا ما كانت الرسائل تقوله «أنت لي»..».

وابتلعت ريقها بقسوة.

اشتدت قبضتا برايس إلى جانبيه: «سأقتله! وسأستلذ كثيراً في تقطيع أوصاله».

هزت سابينا رأسها: «لم يعد هذا يهم برايس».

تأوه بسخط: «لا يهم..! بل هو مهم لي.. اللعنة! وكم أحب أن..».

قالت سابينا بصوت أجش: «لم يعد يهم حقاً برايس. لقد خطبت لريتشارد لأسباب خاطئة كأسبابه تماماً. كنت أحس أنني معرضة للخطر وضعيفة بعد ذلك الهجوم، ومع أنني عرفت ريتشارد منذ عدة أشهر قبل ذلك، إلاّ أنني لم أوافق على الزواج منه إلاّ بعد ذلك بكثير».

وهزت رأسها لتكمل: «أما ريتشارد فقد أراد أن يمتلكني كشيء يعتقد أنه فريد من نوعه..».

قاطعها بخشونة: «أنت فريدة!».

- ربما. لكن بالرغم من أنني أعجبت بريتشارد، فأنا لم أحبه أبداً.

وأضافت بصوت منخفض ناعم بحيث لم يكن برايس متأكداً من أنه سمع شيئاً: «ليس بالطريقة التي أحبك فيها».

في الواقع، كان واثقاً من أنه لا يمكن أن يكون قد سمع بشكل صحيح.

* * *

نظرت سابينا إلى برايس متعاطفة مع تعبير وجهه المصدوم الذي يشبه تعبير وجهها قبل وقت قصير. لكنها كانت قد سارت شوطاً بعيداً في الأسابيع الثلاثة الماضية، وعرفت أن عقدة فقدان ثقتها بنفسها قد شفيت طبيعياً مع الزمن.. ولولا تلك الرسائل التي ظلت تردها لما تذكرت الحادثة. المهم الآن أنها شُفيت.

وبللت شفتيها، وبدأت تقول بصوت منخفض: «ريتشارد رجل.. غريب، هل لديك فكرة عما جعله يقرر أنني لم أعد مكتملة؟».

وعبس برايس: «وهل لهذا علاقة بي؟».

ضحكت سابينا ضحكة خشنة: «بل لهذا كل ما يتعلق بك. فقد تبين أن ريتشارد رجل يحب أن يُعجب بممتلكاته بالنظر إليها فقط. أنا.. هو..».

وصمتت، واحمر خداها.

ـ ريتشارد يرتعد خوفاً من فكرة الحميمية مع شخص ما.. أي شخص!

وبدا برايس مذهولاً: «لكنني ظننت..».

ـ أعرف ما ظننت. بانفاق مشترك كان لي غرفتي في منزل ريتشارد، وغرفتي الخاصة لو أقمنا في فندق. ولهذا لم يزعجنا أن يكون لنا غرفتان منفصلتان في منزل جدك. فهذا جزء من صفقتنا. واعتقدت أنت أنه من باب الاحترام. لكن، ريتشارد يجد فكرة الحميمية الجسدية مقرفة.

وهذا الاكتشاف صدم سابينا منذ ثلاثة أسابيع.

كانت مخطوبة لرجل لا يحب العلاقات الجسدية بين رجل وامرأة ويعتبرها مقرفة، لكنه لا يتوانى عن إرسال رسائل مجهولة لها كي يحافظ على

اعتمادها عليه.

هي لا تزال لا تصدق كم أنها محظوظة لأنها تمكنت من الهرب!

هز برايس رأسه وقال بقرف: «هذا الرجل غريب الأطوار أكثر مما كنت أظن. رغم أن هذا لا يغير شيئاً في نيتي بالذهاب لرؤيته، أريد أن أتأكد من أنه لن يستطيع الاقتراب منك مرة أخرى».

هزت سابينا رأسها، وقالت بثقة: «لن يقترب. لقد توصلت معه إلى تفاهم.. آخراً سيبقى بعيداً عن حياتي وعن عائلتي وأصدقائي ولن أخبر الشرطة أنه هو الذي كان يرسل الرسائل المجهولة.. وأعتقد أن هذا اتفاق منصف».

قال برايس بحدة: «ليس بالنسبة لي، عدم رؤيته لك مجدداً ليست عقوبة تكفي لما فعله بك».

كشرت بخشونة: «ريتشارد لا يريد رؤيتي مرة أخرى.. لم يعد يعتبرني فريدة من نوعي.. هل تفهم».

ضاقت عينا برايس: «ولمَ لا؟».

ـ السبب الرئيسي هو أنه كان يعرف التجاذب بيني وبينك.

ـ هذا لأنني وجدت صعوبة في أن أكون في غرفة واحدة معك لست دقائق دون أن أرغب في عناقك!

ضحكت بصوت منخفض، فهذا ما تشعر به نحوه تماماً!

ـ إننا هنا منذ ربع ساعة الآن.

ونظرت إليه بإغراء، ونظرتها مضيئة، مليئة بالحب الذي تشعر به نحو هذا الرجل.

نظر برايس إليها بحدة، واسترخى ببطء وهو يرى التعبير الخبيث على وجهها، وتمتم بصوت أجش: «إهمال كبير مني».

وقطع الغرفة ليقف أمامها قائلاً: «أحبك سابينا، وأريد أن أتزوجك».

قالت ببطء: «قبل أن أجيب على هذا. أريد أن أثبت لك بضعة أمور».

ـ نعم؟

ابتسمت لإظهاره نفاد الصبر.

ـ أريد أن أؤكد أن تصرفاتي الآن ليست بسبب أي خوف مما حدث منذ ستة أشهر. كان الأمر مزعجاً يومها، لكنه انتهى الآن، وكان يمكن أن ينتهي منذ أشهر لولا تصرف ريتشارد.. هل تفهم ما أقوله برايس؟

ـ تصرفاتك الآن لا علاقة لها بأيّ خوف متبقي مما حدث منذ أشهر.

تملكك بسبب ما حدث منذ أشهر.

ـ صحيح.. إذن، فردي على تصريحك السابق هو نعم.

وتحركت بثقة إلى ذراعيه، ليستقر رأسها على قوة كتفيه الدافئتين.

نظر برايس إليها متسائلاً: «نعم.. أحبك؟ أم نعم أريد الزواج منك؟».

ـ نعم أحبك.. ونعم.. سأتزوجك.

لم تكن مترددة في ردها، ولمع الحب في عينيها وهي ترفع نظرها إليه، دون أن ترف عيناها.

تأوه، وأغمض عينيه لوقف قصير: «لست واثقاً من أنني قادر على تصديق هذا».

ابتسمت له، فقد صعُب عليها أيضاً أن تصدق ما يجري! لكنه كان أمراً حقيقياً. فهي وبرايس يحبان بعضهما وسوف يتزوجان.

وتمتمت بصوت أجش: «أنا واثقة من أننا سنجد طريقة لإقناعك».

أطبقت ذراعا برايس عليها بتملك وهو يرفعها إلى الأعلى، ويضمها إليه. لكن سابينا لم تشك ولو للحظة في أن هذا هو الحب والاهتمام اللذان يجب أن يكونا بين شخصين يحبان بعضهما، ويريدان أن يكونا معاً لبقية حياتهما.

***